7me Année No. 289

Lundi - 16 - 1 - 1939

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــــدد ٢٨٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٥ ذو القعدة سنة ١٣٥٧ — ١٦ يناير سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

بين الفقـــير والغنى

«يا صاحب السعادة ، لِمَ ترضى أن أكون صاحب الشقاء؟ أنا وأنت نبعتان من دوحة آدم نَمَتَا فى ثَرَى النيل ؛ ولكن مغرسك لحسن حظك كان أقرب إلى الماء ، ومغرسى لسوء حظى كان أقرب إلى الصحراء ، فشبعت أنت وارتويت ، على قدر ما هزلت أنا وذوَيت ؛ لأن الماء والغذاء يطلبانك وأنت ضاجع وادع ، وأنا أطلبهما بالكدح والمتح فما أنال غير الجفاف أو النُّطاف !

فماذا يضير المجدودَ أن ينضح المكدود برَشّ مما يسبح فيه من فيض هذا الوادى ، وهو لهما كلبن الأم للتوأمين ، لكل منهما شطره بحكم الحياة والأمومة والطبيعة ؟

لقد ضمن الله لك حق الملك لصلاح الدنيا ، ولكنه فرض عليك بإزاء ذلك الزكاة تحقيقاً لهذا الصلاح . فإذا خشيت أن تمتد غيرى إلى مالك بالحسد والشهوة ، ويدى إلى نفسك بالعنف والقسوة ، فاكسر نظرتى وحدَّتى عنك بأداء ما جعل الله لى عندك ؛ وإلا كان من الانصاف فى رأيى على الأقل أن يكون اعترافى بالحق لك ، معادلاً لاعترافك بالواجب عليك»

ذلك ما يقوله فى مصر كل فلاح لكل باشا . ولكن

الفهـــرس

أغنياءنا غلاظ الأجساد والأكباد فلا يصيخون لمثل هذا العتاب الهامس! وهم إلى ذلك يعلمون أن الله الذى أعان الفقراء بالزكاة على الفقر، أعانهم عليه أيضاً بالقناعة والصبر. فهم يثقون بالله، ويؤمنون بالقدر، ويعتقدون أن نصيبهم المقسوم فى السماء سيهبط عليهم فى الأرض، أو يصعدون إليه فى الجنة. وفى ضمان هذه الأخلاق السمحة والنفوس المطمئنة، مشى الغنى متأبهاً متألهاً يحاول أن يخرق الأرض ويطول الجبل ويملك على عباد الله حق الحياة والموت. ثم ينظر إليه الكادح المحروم وهو يخور من السمن، ويختال من البطر، ويغوص فى الحرير، ويخوض فى الذهب، فيقول ببهجة المؤمن الراضى:

«آمنت بالله! لو لم يستحق ما هو فيه، لما كان الله يعطيه!»

وأقسم ما أعطاه الله، ولكنه هو الذى أخذ. وما كان ليستقيم فى ميزان العدل أن يُعطى إنسان حتى يطفح، ويمنع إنسان حتى يجف!

أعرف فى مركز (ط) عشرين بلدة يملكها من الشرق أمير ومن الترب باشا، فليس لأحد من الأهلين فيها شبر أرض ولا جذع شجرة. إنما هم أجراء أو مستأجرون سخرتهم الغفلة والاستكانة لرجلين كسائر الرجال، ليس لبطنيهما سعة البحر، ولا لعزميهما قوة الدهر، ولا لنفسيهما عظمة الله. إنما هما فمان تملأهما المضغة، ومعدتان تكظهما الوجبة؛ ولكن لهما عينين كعين الجحيم لا تمتلئ، ونفسين كجوف الرمل لا يرتوى؛ فهما يعصران من أجساد هذه الألوف الجاهدة ذهباً يكتنز، وقصوراً تُشاد، وسلطاناً يُرهب، وقطعاناً تسعى، ومراكب تطير، ورغائب تبتغى، ولذائذ تنال، وأوسمة تناط، وألقاباً تكتسب. ثم لا تدركهما بهؤلاء العبيد رحمة الخالق بالخلق ولا عناية الصانع بالآلة. فصاحب الآلة يوفر لها الشحم والوقود، ومالك البقرة يهيئ لها الحظيرة والعلف، وهما لا يتركان لفلاحيهما المساكين مايمسك الروح ويستر البدن، ثم يلزمانهم أن يؤدوا أجرة الأرض ونفقة الإدارة قبل أن يأكلوا. فإذا أوف الزرع أو رخص السعر وعجزوا عن الوفاء، سلطا عليهم النظار والمحضرين فأخذوا الدور التى يأوون إليها، والبهائم التى يزرعون عليها، وخلفوهم فرائس للمرض والفاقة، لا يجدون وسيلة للطب ولا حيلة للجوع. فإذا فزعوا إلى فضل الأمير أو الباشا زمَّ بأنفه واستكبر أن يفتح عينيه على هذا الهوان والقذر، ولعله ساعتئذ كان يمسح خرطوم كلبه أو يرجِّل عُرْف جواده!

* * *

سكان هذه القرى العشرين يعيشون هم وماشيتهم فى أكواخ من اللبن لا تدخلها بهجة الطبيعة ولا تعودها رحمة الله. تقوم على أقذار البرك وفوق سباخ الأرض وعلى ظهورها المراحيض وفى بطونها المزابل. والمالكان المدللان يَتَمطَّان بين الحرير والذهب، فى قصور تطاول السماء، ورياض تنافس الجنة، ثم لا يتفضل أحدهما فيحمل الحكومة بجاهه ونفوذه على أن تجفف لهؤلاء البائسين بركة، أو تنشئ لأطفالهم الضاوين مدرسة. وعلة حب الباشا للمستنقعات أن نفقة ردمها على حسابه، وحجة بغضه للمدارس أنها تصرف الأطفال عن العمل فى أرضه

* * *

ارجعوا يا قوم إلى الله فقد طبَّ لهذه الأدواء واحتاط لهذه الفواجع. إن هذا الأمير وذلك الباشا يملك كل منهما مليوناً من المال الذى تحول عليه الأحوال فيزيد ولا ينقص. فلو أنهما يؤديان زكاته كما فرض الله لكان ما يدفعانه خمسين ألف جنيه فى كل سنة. ولو حبسنا هذا المال الوفر على هذه القرى العشرين لما بقى فيها فقير ولا مريض ولا جاهل. وإذن تشفى الصدور من الغل، وتبرأ النفوس من الوهن، فتكثر الأيدى، وتشتد السواعد، ويزيد الإنتاج، ويزكو الريع، ويردُّ عليه ما أقرض الله أضعافاً مضاعفة. ولكن أغنياءنا أبطرتهم نعمة الله فاستغنوا بجبروتهم عن رحمته، وبملكوتهم عن جنته، وبعبادهم عن عباده؛ وكأنهم أصبحوا يرون سعادتهم فى شقاء الوطن، وعزتهم فى مذلة الناس!

احمد حسن الزيات

عجوة ببيض

للأستاذ إبرهيم عبد القادر المازنى

— بابا . هات خمسة قروش !
— يا أخى ، قل صباح الخير أولاً
— آه ، صحيح ، طيب صباح الخير ، هات بق !
— سبحان الله العظيم ! ألا تنتظر حتى أرد عليك هذا التصبيح بالخير ؟
— طيب ، ردّ

فأتلكأ — أهز رأسى أسفاً ، وأمصمص بشفتى متعجباً ، وأقلب كفى ، ولكن هذا كله له آخر فيعود اللعين إلى المطالبة بالقروش الخمسة ، فأسأله : « هل يليق أن تصبح أباك — على الريق — بطلب فلوس ؟ »

فيتعجب لى كيف أقول إن هذا غير لائق ، ولا يستطيع أن يفهم أن ابتداء يوم جديد بإنفاق من المرجح أنه فى غير محله ، صعب على النفس جدًّا ، فأقول له : « إنتظر ، حتى تكبر وتعرف بالتجربة »

فيصيح : « يا خبر أبيض ! انتظر حتى أكبر ؟ لا يا بابا ، أنا مستعجل ، وقد وبخنى المعلم أمس »

فأسأله السؤال الذى كان ينبغى أن ألقيه عليه فى بداية الحوار :
— لماذا تريد خمسة قروش ؟ ماذا يمكن أن يصنع طفل مثلك بخمسة قروش ؟

فيقول : « أشترى بها كتاب المطالعة الانجليزية »
فأسأله مرة أخرى : « أو لم تعطك المدرسة كتاباً ؟ »
فيقول : « تقطع ولم يبق صالحاً للاستعمال »
— ولماذا تقطعه ؟
— لست أقطعه ، هو تقطع !
— تكلم بعقل ، كيف يقطع الكتاب نفسه ؟
— لم يقطع نفسه ، ولكن المعلم يأمرنا أن نطويه ، فيبلى ، ويتخرق ، ويتمزق
— هل تعلم أنى كنت تلميذاً مثلك ؟
— لا ...
— لا ؟ كيف تقول لا ؟
— طيب أعلم — إنما عنيت أنى لم أرك ولم أكن معك — هات بقى ثمن الكتاب
— وأنا إنما أعنى أنى لم أحتج فى حياتى المدرسية كلها أن أشترى كتاباً مدرسيًّا لأن كتبى لم تكن تتقطع وكانت لا تبلى أبداً

فيضحك الخنزير ويقول : « لا مؤاخذة يا بابا ، ولكن يظهر أنك كنت تلميذاً كسلان »

فأضحك مثله وأزعم أنها نكتة ، ولكن الواقع أنها أصابت المحزّ ، ووقعت على المفصل ، فما أعرف من زملائى فى عهد الدرس والتحصيل من كان أبلد منى أو أشد كسلاً . ولا أدرى كيف كنت أنتقل من فرقة إلى فرقة ، وأحسبهم كانوا يؤثرون أن يجبروا خاطرى ويترفقوا بضعفى . ولما أتممت التعلم — أى فرغت من المدارس — وجدت عندى صفوفاً من كتب الدراسة نسجت عليها العناكب بيوتاً وقصوراً ، وقد أخذها منى صديق ، وأعطانى بدلاً منها كتاب (الشعر والشعراء) أو (طبقات الشعراء) لابن قتيبة ، طبعة ليدن . وقد بعت هذه أيضاً بثمن غير بخس فى جملة ما بعت من الكتب

* * *

ويدخل اللعين الثانى أو الأكبر فيقول بلا تمهيد ، ولا تصبيح « اكتب هذه البيانات المطلوبة هنا على هذه الورقة ، وسآخذ من جيبك ستة قروش ، ثلاثة لرحلة إلى الهرم ، وواحداً يبقى معى ، ونصف قرش هو مصروفى ، وقرشاً ونصف قرش ثمن برجل وعلبة ألوان »

فأصيح به « تأخذ من جيبى ؟ من أدبك هذا الأدب ؟ ماما ؟ »

فيقول « لا ، إنما أريد ألا أحوجك إلى النهوض من السرير فإن الجو بارد »

فأقول « متشكر ، يا سيدى ، ولكن ما هذه البيانات الجديدة التى يطلبونها ؟ شئ بارد ! »

وتدخل « ماما » فى هذه اللحظة ، فتسأل عن هذا الشئ البارد ماذا عسى أن يكون ؟ فأقول

« صباح الخير أولاً يا ماما ، يانور العين ، ثم إنى أرى كل شئ

بارداً في هذا اليوم المبارك إن شاء الله — لا أحد يصبحني بالخير، وكل من يدخل عليّ يقول هات، ولم يكن ناقصاً إلا أن تسألني المدرسة عن عمري، كأني تلميذ فيها، ولست أستغرب أن تسألك غداً عن سنك يا امرأة، فانتظري، وأعدي الجواب من الآن، وقد أعذر من أنذر! »

وأرفض أن أعطي الولد نفقات الرحلة قبل أوانها بثلاثة أيام، وأرفض أن أذكر للمدرسة عمري — لا حرصاً مني على كتمان ذلك — بل لسببين أولهما أني لست تلميذاً بها، فلا شأن لها بي وبعمري؛ وثانيهما أني لا أحب أن أشجعها على هذا الفضول مخافة أن تسأل بعد ذلك كم سن امرأتي! وأحدث نفسي وأنا أنطق بعبارات الرفض أن من الواجب أن يكون المرء حازماً في بيت كهذا

فتقول امرأتي « ولكني أعتقد أنك لن ترفض أن تعطيني مائة وعشرين قرشاً؟ »

فأثب من السرير إلى الأرض وثبة ليت مصوراً كان حاضراً فيرسمها فإنهما حركة رياضية بديعة، يرمى فيها اللحاف، وتطوى الساقان، ثم تدفعان في الهواء وسائر الجسم وراءهما، ثم إذا أنا واقف على الأرض، لم يتحطم رأسي، ولم يصبني سوء. ولم أكن أعهد في نفسي هذه القدرة، ولكن الوقت ليس وقت الإعجاب بالذات

وأصيح « مائة وعشرين قرشاً؟ أتقولين مائة ... »

فتشير إليّ أن مهلاً، مهلاً، وتسألني « مالك تصيح هكذا؟ ماذا يقول الجيران إذا سمعوك؟ »

فلا أكف عن الصياح وأنا أقول « الجيران؛ ليقولوا ما شاءوا ولكن اعلمي — أنت وهم أيضاً — أني مستعف ... مستقيل ... »

فتضحك ... أي والله تضحك ... وتسألني « من قال لك افتح بيتاً؟ »

فأرد عليها بقوة « ومن قال لك إن البيت بالوعة؟ لا يا ستي أنا مستعف ... مائة وعشرين قرشاً؟ يا خبر أسود! »

فتلاطفني وتقول « اسمع، اسمع، وكن حليماً ... »

فأسألها مقاطعاً « خبريني أولاً من الذي قال لك إني أنفق مما أجد تحت السجادة؟ أو إني من أهل الولاية وأصحاب الكرامات الذين يمد الواحد منهم يده من النافذة فإذا فيها أصبع من الموز؟

من رحيق الأدب

نفسي بطبيعتها لا تنزع إلى ترف الحياة. ولقد عشت إلى وقت قريب ضالاً. ليس لي بيت مستقر ولا راحة موفورة. ولا حتى مكتبة خاصة تعينني على عملي الأدبي. إلى أن أوهمني بعض الناس أن مكانتي كأديب تقتضي أن أغير هذه الحياة. فأصغيت إلى هذا الكلام واتخذت لي مسكناً أنيقاً في أجمل بقاع القاهرة يشرف على النيل. واقتنيت سيارة جميلة، وجعلت لي مكتبة تزينها التحف والتماثيل. وأكثرت من حولي الخدم يعنون بأمري. وأعجبني قليلاً مظهري هذا الذي يماثل مظهر أدباء أوروبا المشاهير. وغرني الحال. وحسبت أننا نتمتع في الشرق بمثل ما يتمتعون من قوة وحرية ومنعة. فانطلق قلمي مرة يبدي رأياً صريحاً في مسألة قيل إنها تمس السياسة. وإذا أنا أقع فريسة لإجراءات مهينة، فالتفت يميناً وشمالاً أبحث عن عالم الأدب يتولى الدفاع، لا عني، بل عن حرية الفكر المهدرة. فلم أجد أحداً من الأدباء قد تحرك. ولم أر صحيفة قدمها الأمر. وخرست كل تلك الجرائد التي طالما رفعت صوتي على صفحاتها، واتفق الكل اتفاقاً طبيعياً على إهمال الموضوع. ولم يحفل أصدقائي ولا زملائي ولا قرائي بما حدث لي. ولم يدركوا الخطر الذي يهدد الأدب والأدباء إذا هم شعروا يوماً أنهم لا يستطيعون أن يخرجوا ما في نفوسهم. (أديب واحد كبر عليه الأمر وأدرك الخطر ونهض في قلق يحادث المسؤولين ويناقشهم، هو كاتب عظيم يعد فخر أدباء الشرق في العصر الحاضر. وصداقته لي معروفة من زمان، وإن كنت مع الأسف لم أقدرها قدرها في كل الأحيان)

على أن الحادث في جملته قد هز عقيدتي في منزلة الأدب وفجعني لا في شخصي، ولكن في مركز الأديب في الشرق، فقد أيقنت أن ما يسمونه « المكانة الأدبية » إنما هي وهم من الأوهام. وأن الأدباء أنفسهم هم المسئولون في أكثر الأحوال عن انخفاض شأنهم في المجتمع لخذل بعضهم بعضا

وأحسست من نفسي الذلة، فتركت مسكني وسيارتي وخدمي، وعدت من جديد أعيش شريداً، كما يستحق أديب في الشرق أن يعيش.

توفيق الحكيم

أو أن عندى آلات لتزييف النقود ، أو إنى ابن روكفلر ، وبيربونت مورجان وروتشلد معاً ؟ هه ؟ أجيبى أولاً ؟ »

فلا تجيب ، لأنها تضحك مستخفة بأن أجد نفسى كل صباح — على ريق النفس — مطالباً بخمسات القروش للخنزير الصغير ، وستاتها للخنزير الأوسط ، ومئاتها ...

وتقول « ألا تسمع ؟ لماذا تأبى أن تسمع ؟ »

فأقول « لأنى مستعفٍ ... هذا هو السبب ... وسألبس ثيابى وأخرج ولا أرجع »

فتقول وهى تغالب الضحك « ألا تفطر أولا ؟ لقد أوصيت لك ببيض مقلىّ بالعجوة ، وعصرت لك — الآن، بيدى هاتين — أربع ليمونات حلوة ، . تعال أفطر أولا ... وتكلم على الطعام »

ترى ماذا أغرى آدم بمطاوعة حواء ؟ كيف وسعها أن تجره من أنفه وتدس فى فه الواسع — لا بد أنه كان واسعا — التفاحة المحرمة ؟ أتراني ورثت عنه هذا الحب للبيض المقلى بالعجوة ، وعصير الليمون الحلو ؟

لا أدرى ؛ ولكنى أردت أن أشيح بوجهى عنها ، لأقاوم إغراء ما تصف ، وأغالب سحره ، فطالعنى وجهى فى المرآة ، فإذا هو يبتسم ، وما كان يسعنى بعد أن عرفت أنى أبتسم ، أن أظل متجهما .

وجلسنا إلى السفرة وشربت عصير الليمون ، فشاع الاغتباط فى كيانى ؛ وجاء الطبق وفيه البيض والعجوة ، ففركت يدى ، ودفعت طبق إلى امرأتى وقلت: « الله يرضى عنك يا امرأة! هاتى! هاتى ! وليسخط علىّ الأطباء ما شاءوا وما وسعهم السخط ؛ وليزعموا أنى أزيد معدتى تلفاً ، فما أباليهم ، أو أحفل مشوراتهم . هاتى ، هاتى ... ترى ماذا أذكرك العجوة والبيض .. لا،لا،لا.. هذا لا يكفى ... إنى أتضور جوعا ... أكثرى ، أكثرى »

فتقول « معدتك تتلف ... يكفى هذا المقدار »

فأصيح: « لالا ... على رأى العامة « همّ » ، وقلة مم!» هاتى ، ولا تخافى »

فتقول : « هل معنى هذا أنك ستعطينى ما طلبت ؟ »

فأصيح « ياستى خذى ما شئت ... كلى لك ... ولكن هاتى من هذا وأكثرى »

فتنهض وهى تقول « ومعدتك ؟ »

فأقول « سننظر فى أمرها فيما بعد . وأحسب أنى لن أعدم طبيباً يستطيع أن يسكن آلامها . أتعرفين أنه يخطر لى أن الطب قد أخفق لأنه لم يستطع إلى الآن أن يغنينا عن المعدة ؟ فليت هناك دكانا تباع فيه أعضاء جديدة من الجسم تركب له وتتخذ بدلا من التى تتلف ، على نحو ما تباع قطع السيارات ! إذن لو سعنى أن ألتهم كل ما فى هذا الطبق الشهىّ . ولكن آخ ! »

وأجدنى أكلم نفسى ، فألتفت مستغربا ، وإذا بها تعود ويدها مبسوطة بمائة وعشرين قرشا فأهز رأسى وأسألها

« ما حاجتك إلى كل هذا ؟ »

فتخبرنى أنها دعت « أم أحمد » وأنها تنوى أن تكلفها شراء ثياب لكسوة الخدم ، فقد آن ذلك جداً ، وقد اختارت أم أحمد لأنها ممن أخنى عليهن الذى أخنى على من نسيت اسمه — آه لبد ، ياله من اسم ! — فهى تحب أن تكل إليها أمر الشراء لتكسب قرشين ، فإنها تأبى الصدقة .

فأهز رأسى موافقاً ، ثم أنهض عن المائدة راضيا وأقول لها بابتسامة عريضة : «مائة وعشرون قرشا ثمناً لأكلة عجوةبالبيض! لست أراه باهظا جداً ... لا بأس ! لا بأس ! سيرزقنا الله من حيث لانعلم ، فلا تخافى ، وأنفقى ما فى الجيب يأت ما فى الغيب

ابرهيم عبد القادر المازنى

شعر مهيار

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

قال ابن خلكان فى كتاب وفيات الأعيان (هو أبو الحسن مهيار بن مرزويه الكاتب الفارسى الديلمى الشاعر المشهور؛ وكان مجوسياً فأسلم . ويقال إن إسلامه كان على يد الشريف الرضى أبى الحسن محمد الموسوى وهو شيخه وعليه تخرج فى نظم الشعر، وقد وازن كثيراً من قصائده) . نعم أخذ مهيار عن الشريف الرضى وسلك مسلكه فى فخامة اللفظ وقرب التشبيه والاستعارة ونغمة الوزن وتحكيم الوجدان والتباعد عن المعانى التى يمجها الذوق والوجدان إلا فى القليل مثل قوله فى الغزل :

غار المحبون من أبصار غيرهم   ضَنًّا وغرت على لمياء من بصرى

إذ أن هذا معنى غير مستقيم ولا يقبله الذوق وإن كان للشعراء مثله . ولا أذكر الآن هل للشريف مثله أم ليس له . ومن دلائل التكلف أحياناً فى شعر مهيار أن له قصيدة فى الرثاء بها يرثى أهل البيت رضى الله عنهم ومطلعها غزل وهو : (فى الظباء الغادين أمس غزال) وجاء فى غزلها ذكر الملال والدلال وما إلى ذلك . وهذه أقوال لا تستقيم مع الرثاء عموماً ورثاء أهل البيت خصوصاً . وعلى أى حال فإن أستاذه الشريف أكثر طبعاً ؛ وإن كان الشريف أحياناً يقبل معانى الغزل المعتاد الشائع فى عصره ، ولكن نصيبه من عبث الحضارة أقل من نصيب مهيار ، وأقل من نصيب غيره من شعراء الدولة العباسية . ومن أجل متابعة مهيار له سلم فى أكثر شعره من هجنة الذوق الحضرى العابث، ولكنه من أجل هذه المتابعة لم يُدْخِلْ فى العربية أثراً من الثقافة والنزعة الأدبية الفارسية . وكنا نأمل أن نجد لمهيار ابتكاراً بسبب جمعه بين الحضارتين الفارسية والعربية ، ولكن طريقة الشريف كانت عربية بدوية أكثر منها حَضَرِيَّةً ، فنزع مهيار هذا المنزع؛ ولم يكتف بذلك بل إنه بَرَّزَ فى أبواب القول التى برَّز فيها الشريف مثل الغزل الوجدانى الرقيق ، والرثاء والإخوانيات والعتاب وشكوى الزمان وأهله ؛ وبَرَّزَ أيضاً فى المديح بحكم مهنته . وهو أحياناً يحتذى طريقة الشريف فى المديح بوصف عادات البدو فى معيشتهم فيقول :

ضربوا بمدرجة السبيل قبابهم   يتقارعون بها على الضيفان

ويقول :

كأنَّ حديث من يُثْـنِى عليه   حديث القين عن نصل يمانى

والمديح هو الباب الذى كان فيه مهيار أكثر استرسالاً من أستاذه بحكم منزلته وبحكم ترفع الشريف الذى يخاطب الخليفة فيقول له إنه لا فرق بينهما :

إلا الخـلافة ميزتك فإننى   أنا عاطل منها وأنت مطوق

ويقل تبرز مهيار فى أبواب الشعر التى يقل فيها تبرز الشريف ، فلا ينتشى مهيار بما يصف كما ينتشى أبو تمام فى وصف الطبيعة، وكما ينتشى البحترى وابن الرومى . ولكن وصف الشريف أقوى وأعرق فى الشعر من وصف مهيار . أنظر إلى قول الشريف فى وصف القلم :

وينطق بالأسرار حتى تظنه   حواها وصفر من ضمير أنامله

أو قوله فى وصف الذئب :

إذا فات شىء سمعَهُ دل أنْفُه   وإن فات عينيه رأى بالمسامع

وهذه القصيدة تذكرنى قصيدة البحترى التى مطلعها (سلام عليكم لا وفاء ولا عهد) وفيها وصف للذئب منه قوله :

كلانا بها ذئب يُحدِّث نَفْسه   بصاحبه والجد يُتْعِسُه الجد

وتُذْكِر أيضاً والشىء يذكر بالشىء أبيات الفرزدق فى وصف الذئب الذى قراه وأطعمه بعكس ما فعل الشريف والبحترى ، وهى التى مطلعها (وأطلس عسال وما كان صاحباً) .

أما مهيار فله شعر كثير فى الوصف أكثره فى وصف الشمع أو السمك أو الطبل أو الاسطرلاب الخ . وهو ليس من الطراز الأول. وله أبيات فى وصف السماء وهو موضوع كبير يشمل حسنها فى مظاهرها المختلفة ، ولكنه لم يوفه حقه . وله قصيدة فى وصف آلات زينة صناعية فى بركة ، ولكنها على شهرتها لا تدل على أن الشاعر قد انتشى بموضوعه ، فمهيار إذاً لا يُبَرِّزُ فى الوصف كما يبرز فى الموضوعات الأخرى التى ذكرناها وبَرَّزَ فيها أستاذه

والذى جعلنا نأمل أن يبتكر مهيار وأن يدخل شيئاً من أثر الثقافة الفارسية هو ما رأيناه من ابتكار ابن الرومى وما لعله من أثر نسبه الدخيل، وإن كان ابن الرومى قد غلبت عليه النزعة العربية أكثر مما غلبته النزعة الرومية . ومهيار يفتخر بسؤدد الفرس فيقول : إنه جمع المجد من أطرافه (سؤدد الفرس ودين العرب) ويفتخر بفصاحتهم فيقول : (وفيهمُ ألْسُنُ البيان) ويقول :

إنْ تُنـكِرِي قوى فعنــــدك من بقيّتهم بيــانْ

وقد نظرنا فى شعر هـذا الفارسى فوجدناه أكثر عروبة من شعر بعض الشعراء العرب من سكان العراق وفارس، وكان هؤلاء يتملحون ويتجملون بألفاظ فارسية فى بعض الأحايين. ونحن لم نطلع على شعر لشعراء دولة الفرس قبل الإسلام، ولا نعرف إن كان شعرهم قد بقى، ولكنا اطلعنا على منتخبات لشعراء الفرس بعد الإســلام عند ما استقلت فارس بسبب ضعف الدولة العباسية وسقوطها، وبعضهم أيضاً كان يكتب أيام حكم التتر، وهذه المنتخبات لعمر الخيام وحافظ الشيرازى والسعدى والفيروزى والجامى والنظامى وأنورى وفريد الدين العطار وجلال الدين الرومى وابن جمين(١) لا تختلف كثيراً عن شعر شعراء الدولة العباسية من العرب إذا استثنينا ما فى بعضها من قصص تاريخ الفرس القديم التى صارت فى هذا الشعر أشبه بالأساطير الاغريقية فى شعر هومير وغيره؛ وإذا استثنينا أيضاً الأساطير التى حاكها بعض هؤلاء الشعراء فى موضوع حياة الطيور والحيوانات الخ على طريقة الخيال الآرى. ولم أجد فى شعر مهيار أثراً لذلك وإن كان يقرب من الحضارة الفارسية فى وصفه بعض مظاهر الترف، لأن الحضارة العباسية العربية كانت شبه فارسية، إذ قد أخذ العرب فى العراق وفارس من مذاهب الإحساس والفكر والحضارة الفارسية، حتى إن بعض المؤرخين سمى الدولة العباسية، بالدولة الفارسية العربية. وقد رد العرب هذه المذاهب المستعارة من مذاهب القول والإحساس والفكر إلى شعراء الفرس المسلمين الذين ظهروا عند ما استقلت فارس عن الدولة العباسية؛ وهذه هى أسباب أوجه التشابه بين هؤلاء الشعراء وبين شعراء الدولة العباسية العربية. فمهيار لا يقترب فى قوله من الثقافة الفارسية والحضارة الفارسية إلا من حيث اقترابه من نزعة شعراء العربية فى الدولة العباسية. وهو كما أوضحنا غير متدفع فيها كل الاندفاع ولا منغمر فيها بسبب احتذائه طريقة الشريف فى محاكاة النزعة البدوية؛ وهو مع ذلك له شعر فى مظاهر من تلك الحضارة لم يطرقها الشريف كوصفه للخمر كما فى الأبيات التى يقول فيها:

من فم إبريقها إلى شفة الكا ... س عمود الصباح ممـــدود

وقد أغرق فى تحسين السكر فى قصيدته التى يصف فيها آلات الزينة فى البركة ومطلعها:

(١) هذه الأسماء منقولة من صيغها فى كتب التنخبات الافرنجية التى أشرت إليها لا عن الصيغة الفارسية

نديمى وما الناس إلا السكارى ... أدرها ودعنى غـــداً والخمارا

وعطّلْ كؤوسك إلا الكبير ... تجدْ للصغير أناساً صغارا

وقد أنقذته محاكاته للشريف من أن يكون أكثر شعره على هذه الوتيرة. وقد ذكرنا أن الوصف فى هذه القصيدة لا يحدث للقارئ نشوة شعرية، وإنما النشوة فيها نشوة مادية للشاعر بالخمر كما ترى. وعندى أن بيتاً واحداً فى الوصف للمعرى، وهو ليس من شعراء الوصف، قد يحدث نشوة شعرية للقارئ أكثر مما تحدثه قصيدة فى الوصف لمهيار. أنظر إلى قول المعرى:

ليلتى هذه عروس من الزنـ ... ـج عليها قلائد من جمان

وكلمة (هذه) فى البيت لها أثر كبير فى الوصف. وبعض وصف مهيار على سبيل الأحاجى والمعميات وهذا ليس من الوصف العالى

ويجوز لنا أن نقول إن منزلة مهيار من الشريف كانت كمنزلة البحترى من أبى تمام من حيث احتذاء الطريقة. وقد هجا ابن الرومى البحترى فقال:

والفتى البحترىُّ يسرق ما قا ... ل حبيب فى المدح والتشبيب

كل بيتٍ له يُجَوِّدُ معنا ... ه فمعناه لابن أوس حبيب

وهذه مبالغة المنافس القادح الزارى. إلا أنه مما لا شك فيه أن البحترى على عظم منزلته كان محاكياً أكثر من ابن الرومى. وقد وجدنا أن مهيار يعزب عن نهج الشريف فى بعض قوله وروحه. ولا غرو فإن النبات إذا نقل من مكان إلى مكان كانت ثمراته شبيهة بثمرات نوعه من نبات المكان الثانى، وكذلك طريقة الشعر إذا نقلت من شاعر إلى شاعر، فهى يصدق فيها قول الشريف فى الآمال:

وتختلف الآمال فى ثمراتهـا ... إذا شرقت بالرى والمـاء واحد

ولمهيار قصائد عديدة ذات نغمة موسيقية عذبة كنغمة قصائد الشريف العذبة، وهو لا يقل عن الشريف فى هذه الموسيقية بل قد يزيد أحياناً، ولكن الوجدان الشعرى فى ثنايا موسيقية الشريف أكثر طبعاً وغزارة؛ وقد يقل الوجدان وتقل الموسيقية فى قصائد مهيار المطولة فى المدح على أناقتها، ولكن القارئ يشعر فى بعضها إطالة الناثر القدير وتوقف الكاتب فى تدبيج المديح أكثر مما يشعر من اندفاع السيل الشعرى الأتِىّ؛ ولكن أسباب هذا الشعور أن مهيار كان كاتباً قديراً وأنه أوتى سهولة كبيرة فى النظم ونفساً طويلاً جداً. وفى بعض مدائحه يحس القارئ سرعة اندفاع الوزن ولكنه يحس أيضاً أن سهولة النظم وطول

النفس قد سبقا شاعرية الشاعر. وهذه هي جناية المدح على الشاعر وجناية نظم الشاعر بالأمر أو الطلب أو للحاجة واكتساب الرزق، وهذا أمر يشترك فيه كثير من شعراء الصنعة مع مهيار، إلا أن ما أضر الشعر من ناحية قد أفاده من ناحية أخرى، فقد أصبحت قصائد الصنعة التي ليس فيها اندفاع سيل العاطفة الشعرية نماذج تحتذى في المدارس وفي غير المدارس لتقويم لسان الناشئين المبتدئين؛ ولكن الخطر قديماً وحديثاً هو إما أن يمل الناشئ اللغة بالرغم من طلاوة النماذج وأناقتها لافتقاده سيل العاطفة، وإما أن يظل طول عمره على النماذج الإنشائية لا يطلب وراءها روحاً أو معنى أو وجداناً . ولقد نجى الشريف من أن يكون بعض شعر المدح من شعره نماذج إنشاء لحسب أنه كان يترفع عن التكسب بالشعر أو كانت له عنه مندوحة . والشريف لم يكثر إكثار مهيار وإن كان الشريف مكثراً جداً إذا قيس بالمتنبي أو أبي تمام

وبالرغم من إطالة مهيار في القصيدة الواحدة إطالة كبيرة في المدح، وبالرغم من مؤاتاة سهولة الوزن له فقد كان يهذب ويشذب ويتأنق ويسيء بالإحسان فيها ظنا حتى يقتنع ذوقه بدليل قوله : —

وأسيء ظنا وهي محسنة لا كالمسيء ويحسن الظنا

ولعل هذا سبب ولوعه بإطراء شعره في شعره فقد قال في قصائده:

لكنها من معدن لم يكن بسره ينبع إلا ليا

وزاد على هذا فجاء بقول يشبه أقوال المتنبي فقد قال مهيار :

ظهرت بآيتي في غير قومي ولم أنظر بمعجزها أواني

أي ظهر قبل ظهور الجيل الذي يستطيع أن يقدره

ولقد قالوا إن الشريف قد اشترك في كتابة بعض ما ينسب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه في كتاب (نهج البلاغة) وهذا شيء لا يصدق لبعد التزوير من أخلاق الشريف الرضي . وعلى أي حال فليس في شعر الشريف ما يذكرنا بأنه كاتب ناثر ، وإن كان له في النثر فضل كبير . وأحسب أن ابن الرومي لو شاء أن ينبغ في النثر نبوغه في الشعر لاستطاع لتقصيه الأجزاء وتتبعه، واتساق كلامه وربط بعضه ببعضه واستطراده وضربه الأمثال وإشاعته المعنى في أكثر من بيت ، وما إلى هذه الصفات من صفات؛ ولكن الشعر ملك عليه وقته ونفسه وحاجات لبه وغلبت عليه سهولة النظم . ولم يصل إلينا شيء من نثر مهيار وإن كانت الكتابة هي الصفة المقدمة في كلمة ابن خلكان عنه . ولعل شعره في المدح وغيره من أغراض الأمراء والحكام يغني عن نثره لفظاً ومعنى .

ولأناقة مهيار في أسلوبه سببان : الأول محاكاته طريقة الشريف الرضي ، والثاني هو أن الدخيل إذا اعتنق لغة حتى تصير لغته واحتاج إلى النبوغ فيها والتكسب بها اضطر إلى التأنق أكثر من اضطرار الأصيل الذي يعتز بأصالته فلا يتعمد المغالاة في التأنق. ومن أجل ذلك كان مهيار أكثر أناقة في الأسلوب من كثير من شعراء العرب في الدولة العباسية ولا سيما شعراء عصره . وليست أناقته بمستحيلة إذ أن عمدة النحو العربي رجل فارسي مثله وهو سيبويه، وهو مثل آخر من أمثال هذه الظاهرة، وهي أن الدخيل قد ينبغ أكثر من الأصيل في لغة بسبب اضطراره إلى استبطان دخائلها ، وهي ليست قاعدة عامة بل هي من الأمور الغريبة كغرابة إتقان الكاتب البولوني جوزيف كونراد للغة الانجليزية وكتابة قصصه بها حتى صارت كتبه تعد من ذخائر الأدب الانجليزي وحتى صار يعد أديباً انجليزياً لا بولونياً

وقد أخذ مهيار عن الشريف سر الموسيقى الشعرية وهي لا تتوقف على الوزن وحده بل على الوزن وعلى أسلوب الشاعر في الإفصاح عن إحساسه. ومن قرأ قصيدة الشريف التي مطلعها: (ضربن إلينا خدودا وساما) أو التي مطلعها (أراك ستحدث للقلب وجدا) أو التي مطلعها (اسلمي يا سرحة الحي) أو التي مطلعها (يا ظبية البان) وغيرها من أشعار الشريف ثم يقرأ شعر مهيار الموسيقي يحس كيف أتقن التلميذ سر تلك الموسيقى كما في قول مهيار:

أتراها يوم صدت أن أراها علمت أني من قتلى هواها

إلى أن يقول :

أعطيت من كل شيء ما اشتهت
فرآها كل طرف فاشتهاها

أو قصيدته التي يقول في مطلعها :

لواعج الشوق والغليل علي أحنى من العذول

أو التي يقول فيها :

آه على الرقة في خدودها لو أنها تسري إلى فؤادها

أو التي يقول فيها :

واذكرونا مثل ذكرانا لكم رب ذكرى قربت من نزحا

أو التي يقول فيها :

أأنت أمرت البدر أن يصدع الدجا
وعلمت غصن البان أن يتميلا

أو التي يقول فيها :

وَهَبْـكُمْ منعتم أن يراها بعينه   فهل تمنعون القلب أن يتمناها

ولو أن أساتذة فن الغناء في عصرنا هذا شاءوا لوجدوا في شعر مهيار نبعاً لا ينضب معينه من الموسيقى والغناء . فيا حبذا لو لحنوا الكثير من قصائده الموسيقية . وقد نبغ مهيار أيضاً في الرثاء كما نبغ الشريف ؛ ومن أكثر قصائده في الرثاء وجداناً قصيدة قالها في فتى كان قد تبناه ورباه وهي التي يقول فيها :

فُجِعْتُ به غض الشمائل والهوى   مُسِنَّ الحِجَا والفضل مقتبل السن

على حين قامت للمنى فيه سوقها   وحقت شهادات المخايل والظن

ومن قصائده البارزة في الرثاء القصيدة التي مطلعها (مَنْ حاكم وخصومي الأقدار) والتي مطلعها (نعم هذه يادهر أم المصائب) ويقول فيها :

سلامٌ على الأفراح بعدك إنها   وإن عشت ليست إربة من مآربي

ومنها قصيدته في رثاء عبد العزيز بن نباتة السعدي اللامية التي يقول فيها :

أَفَلَم يَرُعها منك نفس حُرَّة   كنتَ الوحيد بها وأنت قبيل

وقصيدتاه في رثاء الشريف الرضي مشهورتان ولا سيما الدالية التي مطلعها (أقريش لا لفم أراك ولا يد) . وقد نبغ مهيار أيضاً في شكوى الزمان والإخوان ، وله في هذا الباب أشعار كثيرة مثل قوله :

وأخ مع السراء من عُدَدِي   وعليَّ في الضرَّاء والشر

مولاي والأحداث مُغْمَدَةٌ   فإذا انتُضِين فَرَى كما تَفرِي

تَعِبٌ بحفظ هَنَاتِ ميسرتي   كيما يُعَدِّدَها على العسر

ومن شعره في هذا الباب قوله من قصيدة رائعة :

وقلوب أعدائي الذين أخافهم   مغلولة لي في جسوم أحبتي

ولمهيار قصيدة في العتاب بلغت منزلة عالية وهي التي يقول في أول العتاب منها :

يا أهل ودي وما أهلا دعوتكم   بالحق لكنها العادات والدرب

وفي اللغة العربية قصائد بارزة في العتاب يصح أن تكون في باب وحدها وإن تفاوتت مراتبها ومنها هذه القصيدة لمهيار وقصيدة البحتري التي أولها (يهون عليها أن أبيت متيماً) والتي مبدأ العتاب قوله(عذيري من الأيام رَنَّقْنَ مشربي)وقصيدة ابن الرومي التي مطلعها (يا أخي أين ريع ذاك اللقاء) وقصيدة سعيد بن حميد التي مطلعها (أَقلِلْ عتابك فالبقاء قليل) وقصيدة المتنبي التي مطلعها (واحرَّ قلباه ممن قلبه شَبِمُ) وقصيدة الطغرائي التي مطلعها (على أثلاث الوادِيَيْنِ سلامُ) .

وفي الهجاء يحتذي مهيار الشريف أيضاً . قارن بين قول الشريف الرضي (من كل وجه نقاب العار نقبته) وقوله (يَصْدَى من اللؤم حتى لو تُعَاوِدُهُ) وبين قول مهيار : —

وملثمين على النفاق بأوجه   صم يصيح اللؤم من قسماتها

ولمهيار أبيات كثيرة ضائعة في ثنايا مطولاته وهي أبيات يصح أن تشتهر وأن يتمثل بها.

مثل قوله :

والشامة البيضاء تنعت نفسها   لوضوحها في الجلدة السوداء

وقوله :

يقول المرء ما يهوى ويرجو   ويفعل فعله الفلك المدار

وقوله :

يسمون عيشاً في الخمول سلامة   وصحة أيام الخمول سقام

وقوله :

ونشتكي دهرنا والذنب ليس له   والدهر مذ كان مظلوم ومتهم

وقوله :

تقام على الفقير وما جناها   إذا وجبت على المثرى الحدود

وقوله وهو ليس من الهجاء بقدر ما هو حقيقة عامة في كل النفوس : —

يجهلني بديهة وإنه   يزداد جهلاً بيَ كلما امتحَنْ

عبد الرحمن شكري

المجمع اللغـــوى
و إصلاح لغة الحياة اليومية

للأستاذ عبد القادر المغربى
عضو المجمع

ذكرنا من قبل أن المجمع اللغوى قد اتجه إلى الاتصال بالمصالح الشعبية لتناول الرأى معها فى المصطلحات . وقد سألنا صديقنا الأستاذ المغربى عن الطريقة التى بسط فيها رأيه فى وجوب عناية المجمع بكلمات الحياة اليومية والحاجة الداعية إلى هذه العناية فأرسل إلينا هذا المقال .

أمهات الأعمال التى قام بها المجمع فى دوراته الماضية خمس :

١ — أوضاع فى العلوم والفنون لطلاب المدارس

٢ — كلمات فى الشئون العامة لجمهور المتكلمين باللغة العربية

٣ — تسهيل قواعد اللغة

٤ — كتابة الأعلام الأجنبية بوضع علامات اصطلاحية على الحروف العربية

٥ — الاهتمام بوضع معجمين : أحدهما علمى للطلاب والآخر لغوى لجمهرة المثقفين

وقد بذل المجمع همة عالية فى مباشرة أعماله هذه وكان سعيه موفقاً فيها . اللهم إلا ناحية واحدة من هذه الأعمال ما زالت محتاجة إلى عناية وتخير أقرب الطرق لحسن الإنتاج فيها

وأريد بتلك الناحية إصلاح لغة الحياة اليومية التى ترجم لها المجمع بقوله (كلمات الشئون العامة) — كأدوات المنازل وما تتناقله الألسنة والأقلام فى الدواوين والأندية والمدارس والمتاجر مما يعبر عنه بألفاظ دخيلة أو عامية : فقد وضع المجمع لهذه الشئون أكثر من مائتى كلمة . ومن مواضع العجب أن هذه الكلمات تكاد تكون وحدها مثار اللغط فى نقد المجمع والغض من قيمة إنتاجه

وهذا يدل على أن (كلمات الحياة العامة) هى أول ما يتشوق إليه الجمهور من نتائج أعمال المجمع . لأن اللغة اليومية أصبحت قطعةً من حياته وجزءاً من عقليته . فلا جرم أن يكون إصلاحُ هذه اللغة وتقويمُ اعوجاجها مَثَلَهُ الأعلَى وموضع رغبته المُلحَّة على اختلاف الطبقات :

من طلاب المدارس الذين أضربوا منذ أشهر وكان من جملة شروط الرجوع عن إضرابهم أن تدخل اللغة العربية فى البنوك الأجنبية كما أشار إلى ذلك بعض الصحف اليومية

— إلى رجال الصحافة الذين قال أحدهم فى (رسالته) : « تريد اللغة العربية من أولياء العهد الجديد أن تأخذ مكانها الشرعىّ فى المحاكم المختلطة ، وأن تُطَهَّر من شوائب العُجمة فى الدواوين والقوانين والجيش »

— إلى طبقة التجار والمتبضعين الذين كان تَعَرَّض لى أحدهم فى الشارع وسألنى أن أُوسط المجمع فى وضع كلمة عربية تقوم مقام كلمة (مانيكور Manucur) الفرنسية ويراد بها علبة تتضمن مجموعة أدوات تُسَوَّى بها الأظفار وتجمَّل . فلم أوفق إلى إجابة سؤله واستمهلته ريثما يأتى دور هذه الكلمة فى (كلمات الشئون العامة) التى يضعها المجمع . أجبتُه بهذا وأنا خجِلٌ وكأننى أسمعه يقول لى : إلى أن يأتى دور هذه الكلمة تكون تغلغلت فى لغتنا ، ومَرِنت عليها ألسنةُ زبائننا والمستخدمين فى مخازننا ، فيصعب إذ ذاك تطهير اللغة منها . هكذا تخيَّلته يقول لى . وما زلت أتحيَّن الفرص للعود إلى الحديث مع المجمع فى هذا الموضوع حتى كلَّفتنى إدارته أخيراً تهيئة اقتراح أقدمه إليه فى جملة الاقتراحات التى طلبت من الأعضاء .

فقلت : ها قد سنحت الفرصة لاستمالة نظر الإخوان إلى هذه المسألة التى إذا قضوا فيها أمراً كان قضاؤهم مؤدياً إلى إصلاح اللغة اليومية . وهو ما يرغب فيه الجمهور بأشد من رغبته فى أعمال المجمع الأخرى : فإن المصطلحات الفنية التدريسية ، وتسهيل قواعد اللغة ، وكتابة الأعلام الجغرافية ، ووضع المعاجم ، وتحقيق ألفاظها التاريخية — كل ذلك على ضرورته ، إنما تلمس فائدته بعد سنين . ولا يلمسها ويستفيد منها إلا طبقة المثقفين . فتبقى الحاجة ماسة والنقصُ ظاهراً فى نتائج أعمال المجمع فى نظر الجمهور كما يبقى المجال واسعاً أمام الناقدين .

والحق يقال إن اكتفاء المجمع فى أن يضع من نفسه لنفسه كلمات يسميها كلمات الشئون العامة ومعظمها من غريب اللغة ثم يودعها معجمه أو مجلته — محاولة قليلة الفائدة لا تحقق الجانب الأعظم من المثل الأعلى الذى أُنشىء المجمع لأجله ، ولا تشفى غلة جمهور الراغبين فى تعميم الإصلاح لكل ناحية من نواحى الثقافة اللغوية .

ولا يخفى أن حكم الجمهور — فى عرض المعلومات اللغوية عليه — ليس كحكم تلاميذ المدارس الذين تملى عليهم إرادة أساتذتهم فيتلقَّونها من دون تذمر ولا مناقشة ، وإنما الجمهور

كالمستهلك أمام مخزن التاجر وبضاعته . فإن وافقت ذوقه وإلا هجرها وبحث عن أخرى غيرها .

وفى المادة الثانية من مرسوم إنشاء المجمع الملكى إشارة إلى أن هنالك طرقاً يمكن سلوكها فى جعل اللغة العربية وافيةً بحاجات الحياة فى العصر الحاضر . وذلك (بأن يُحدد فى معاجم أو تفاسير خاصة أو بغير ذلك من الطرق ما ينبغى استعماله أو تجنبه من الألفاظ والتراكيب)

فأنا أرى أن يستفيد المجمع من هذه الطُرُق التى أشار إليها المرسوم (فى جعل اللغة وافيةً بحاجات الحياة فى العصر الحاضر) فتتألف لجنة من أعضائه تسمى (لجنة لغة الحياة العامة) أو (لجنة اللغة اليومية) ويكون لها فوق ذلك وظيفة الدعاية والنشر والاتصال بجمهور المتكلمين اليوميين على اختلاف أعمالهم ومصالحهم . فتتلق من إدارات الصحف والدواوين والمحاكم والجمارك والبنوك والمعامل والمتاجر بل من كل سائل الإشكال الذى يعرض له فى شأن وضع كلة عربية مكان كلة أعجمية ، أو استعمال تعبير فصيح مكان تعبير دخيل ، أو غير ذلك من الأسئلة المتعلقة باللغة اليومية مفرداتها وتراكيبها . .

وتعلن اللجنة اشتراطهــا على السائلين ألا تتجاوز أسئلتهم الاثنين أو الثــلاثة لتتمكن من موافاة رغبتهم بالسرعة المطلوبة فتقرُّ بعض الكلمات أو التراكيب المختلف فى صحتها أو تضع مكانها كلمات أو تراكيب عربية ثم تأخذ رأى المجمع فيما فعلت ، ثم تنشره فى الصحف اليومية تحت عنوان (أوضاع لغوية مؤقتة) فتسمع رأى الفضلاء فى هذه الأوضاع وتعدّل فيه وتحوّر حتى تنتهى إلى نتيجة يطمئن إليها القلب ويُرضى أكثرية السائلين ، والصحف اليومية ومحرّروها هم لعمرى أول من يحسن أن تعتمد عليهم اللجنة فى مؤازرتها وترويج عملها

نعم إن فى هذا العمل كلفة وفيه مشقة ، لكن فيه فائدة عاجلة ، وإجابة رغبة مُلحة ، وإصلاحاً مباشراً محسوساً

هذا هو الاقتراح الذى قدمته إلى المجمع ويكفينى منه أن يقبله مبدئياً ثم هو ينظر فى تنظيمه وتهيئة الوسائل التى تجعله منتجاً مثمراً

على أن اقتراحى هذا له التفات إلى اقتراح آخر علاقته به علاقة البناء بالأساس . ذلك أن قرار (التعريب) الذى وضعه المجمع فى دورته الأولى كان مضيقاً جداً مذ جُعل التعريب فيه من حق عرب الصدر الأول بحيث لا يجوز لنا نحن أن نقدم عليه ونقتحم حرمه إلا عند تحقق الضرورة القصوى . وتحديد هذه «الضرورة» من أصعب الأمور . كما أن إبهامها وشمول لفظها يؤدى بطبيعة الحال إلى جدل واختلاف كبير

ولعل المجامع اللغوية التى كانت تقوم فى القاهرة لم تخفق فى عملها إلا لاصطدامها بصخرة التعريب وتضييق الخناق فيه

فاللجنة التى اقترحت تأليفها وسميتها (لجنة لغة الحياة العامة) لا أراها تبلغ غرضها وتؤتى أكلها ما لم يعدّل المجمع قرار التعريب المذكور ، فيجيز التعريب لنفسه بشروط أرفه وأوسع مما فصله فى توجيه قراره الذى نشره فى الجزء الأول من مجلته

فإن قدرت اللجنة على إقناع المجمع بذلك وإلا فلتقنعه على الأقل بلزوم قبول الكلمات الدخيلة اليومية المتفشية فى لغتنا ، والتى أصبح من المتعذر تطهيرها منها بالرغم من وضعنا لكثير منها مرادفات عربية فصيحة فاتت الفصحى وبقيت هى ، أو بقيت الفصحى حيةً بجانبها : مثلما بقيت كلة (بريد) حيّة بجانب كلة (بوسطة) ، و (حوذى) بجانب (عربجى) ، و (ردهة) بجانب (صالون) ، و(مضخّة) بجانب (طلمبة) ، و (فندق) بجانب (أوتيل)

ولم تقو هذه الكلمات العربية على إماتة الأعجميات ، كما لم تقو كلمات (الفَنْد . والكهكب . والأنَب . والحَيْصل . والحدَق) العربية على إماتة أختهن الأعجمية . أعنى كلة (الباذنجان[1])

وها أنذا أذكر طائفة من الكلمات المعربة الفاشية إلى أقصى حد فى لغتنا اليومية لتكون نموذجاً لما أريده بالكلمات العصرية التى لا تمكن إماتتها وينبغى الترخص فى استعمالها :

سينما . صالون . عَرَبة . عربجى . كلسون . جرنال . دستة . غاز . سراى . بلكون . شاويش . طاولة . سَبَت . شوال . بنك . بوسطة . فُرْشة . شنطة . فِلْم . كادر . أوتيل . كُبْرى . بُرْنيطة . طلمبة . بوفيه

ولماذا لا يكون لهذه الكلمات التى وُلدت تحت مواقع أبصارنا حتى فى الحياة أسوة بكلمات أعجمية أخرى توارثنا استعمالها من دون نكير ولا يعرفها سلفنا الأول مثل كلة : بقجة . بُودَقة . بركار . تخت . درابزين . درباس . دَرْفة . ماهيّة . طربوش . فوطة . الخ

ويمكن تلخيص اقتراحى فى هاتين الجملتين :

١ — وجوب الاتصال بالجمهور للاستعانة به فى إصلاح لغته

٢ — تعديل قرار التعريب : إما بتجويزه للمجمع ، بمقياس أوسع ، وإما باستثناء المعربات الحديثة التى تحجرت فى لغتنا اليومية وأصبح من المستعسر تجنب استعمالها .

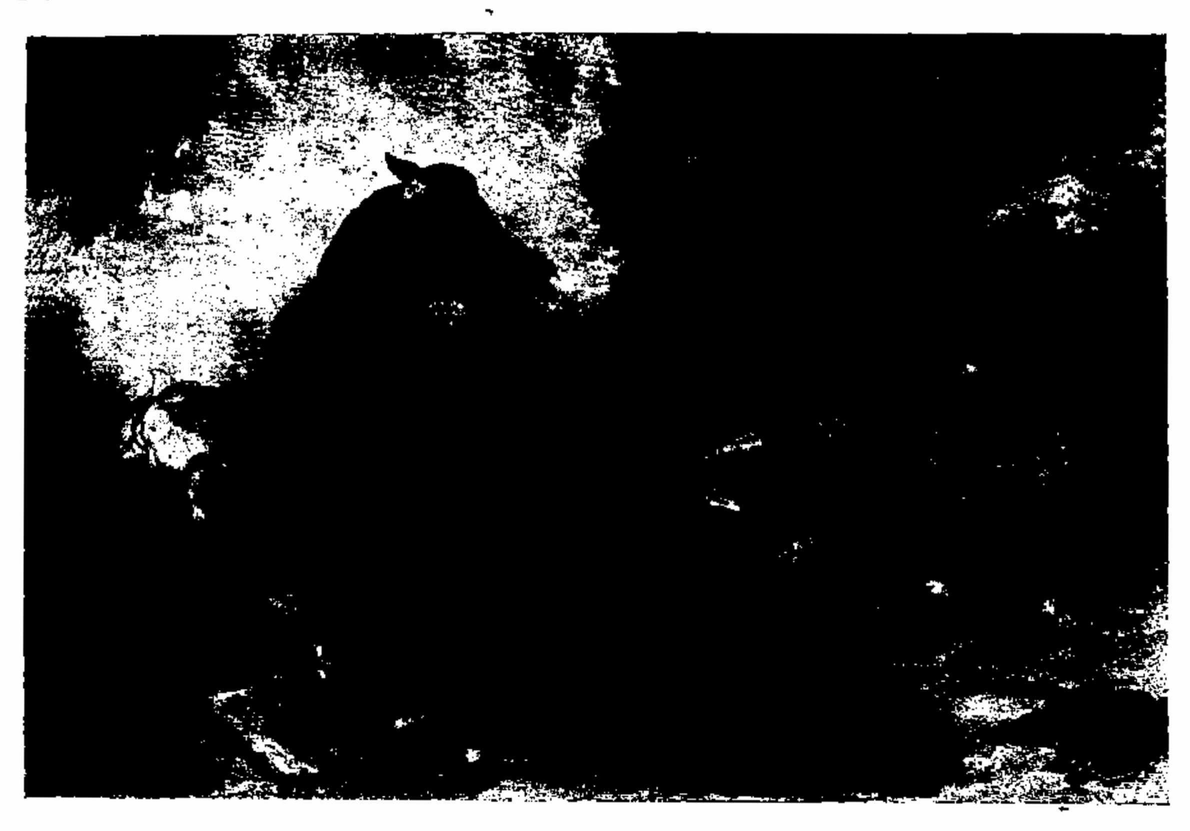
المغربى

---

(١) إنما سمى العرب الباذنجان حدقاً تشبيهاً له بعيون المها

الحـــــــرب

تصوير السيرا. لاندسير من مجموعة «الدكتور أحمد موسى»



يَا صُورَةً ترنو إليها العيونْ ... واجمةً كاسفهْ
تُوحى إلى الأنفسِ هَوْلَ المنونْ ... فى المِحْنةِ الخاطفهْ
يَضِجُّ بالويلاتِ هذا السكونْ ... كأنما الأرضُ به راجفهْ
لا يختفى الويلُ بها والشُّجُونْ ... ولا تنِى رَعْدَتُها القاصفهْ

أرى على الأرضِ طيوفَ الجحيمْ ... فى هذه الغاشيهْ
يَطُوفُ بالنَّاسِ عذابٌ أليمْ ... مِنْ نارِهَا الحاميه
نارٌ تَلَظَّى فى الورى من قديمْ ... وأنْهُرٌ مِنْ دَمِهِ جاريهْ

تَرُوعُنى كَبْوَةُ هذا الجوادْ ... يَسْقُطُ لاَ مِنْ وَهَنْ
الذُّعْرُ فى عينيه هزَّ الفؤادْ ... وزاد فيه الشَّجَنْ
كمْ صَوَّرَ الرُّعبَ بهذا الطِّراد ... وما دهى النَّاسَ به مِنْ مِحَنْ

ماذا رَمَى الفارسَ من صَهْوَتِهْ ... يا عَيْنُ ماذا رَمَاهْ ؟
كَمْ كُرْبَةٍ لِلنَّفْسِ فى ضَجْعَتِهْ ... وَكَانَ غَضًّا صباهْ
الموتُ لاَ يَنْقُصُ من رهْبَتِهْ ... ما ذاعَ من أشْبَاهِهِ فى الحياهْ
مازالَ مِن (هابيلَ) في رَقْدَتِهْ ... ما طَافَ مِن رُعْبٍ فأَصْمَى أخاهْ !

يَا سَاحِرًا لو أنَّ لى فَنَّهُ ... لزدتُ فى رَسْمِهِ
أخُطُّ طِفْلا مُرْهفاً أُذْنَهُ ... يُصْغِى إلى أمِّهِ
يَسْتَوْحِشُ اللَّيْلَ إذا جَنَّهُ ... وما رَأَى أُنْسًا مَدَى يومه

يَلْثَغُ يا أُمَّاهُ طَالَ الغيابْ ... أيْنَ تَوَلَّى أبى ؟
ياوَيْلَهَا ! كَمْ لَقِفَتْ مِن جَوَابْ ... لِطِفْلِهَا الصَّاخِبِ !
ماذا جنت؟ طَالَ عَلَيْهَا العذابْ ... أفٍّ لهـذا الوالدِ الغائب !

في سَاحَةِ المَوْتِ خَيَالُ السَّلاَمْ ... يَزِيدُ فى كَرْبِهِ
تطوف رؤيا بيته إذ ينام ... وملتقى صحبه
لكنه يَفْزَعُ قَبْلَ القِيَامْ ... مِن يقظة الأوهام فى قلبه !

يَاوَيْحَ للانسان من نَفْسِهِ ... وَطَبْعِهِ الغَالِبِ
يُسَابِقُ الموتَ إلى رَمْسِهِ ! ... أَلَيْسَ بالذَّاهِبِ ؟
وغَايَةُ المِسْكِينِ من بأسِهِ ... الويل للمغلوبِ والغَالِبِ !

الخفيف

السلام

تصوير السير ا. لاندسير من مجموعة «الدكتور أحمد موسى»



سبحانك يا سلام ! !

لقد بسطت على الأرض المحروبة جناحك الرفيق المسْبِل ، فإذا الدار أمان والفزع اطمئنان والقلوب مؤتلفة والشمل جميع !

هذه ساحة الحرب أصبحت مرعًى للقطيع الراتع ؛ وهذه آلة الموت غدت كِنًّا للحمَل الوادع ؛ وهذا الوعل النطّاح فى أمسه لا يدرى ماذا يصنع بقرنيه فى يومه ؛ وهذا الكلب الحارس نسى اللص والذئب فاستغرق فى نومه ؛ وهذه الأسرة الجميلة تنعم بعيشها الغرير تحت سماء الأمن ، فلا همّ على والد ولا حزن على ولد !

***

تباركت يا سلام !!

لقد مددت على الدنيا المكروبة ظلك الرخىّ الوارف ، فإذا الزرع جميم والخير عميم والحال متسقة والدهر مطيع !

هذه الغنم ترعى أثيث العشب هانئة فلا قنابلُ ولا نيران ؛ وهذه الطير تسبح فى صفاء الجو هادئة فلا صواعق ولا دخان ؛ وهذه السفينة تمخر فى عباب البحر مطمئنة فلا طرابيدُ ولا قرصان؛ وهذه الطبيعة تترق فى فيض النعيم ووضاءة الفردوس مسترخية فلا خصام ولا عُدوان !

***

حنانيك يا فاطر السموات والأرض !

لقد سميت نفسك السلام ، وسميت ذاتك المؤمن : فلماذا جعلت للإيمان شيطاناً واحداً لا أكثر ، وجعلت للسلام شيطانين اثنين هما الدُّتشى وهتلر ؟ !

اللهم إن فى السلام نعمة ، وإن فى الحرب حكمة ؛ وبين نعمتك وحكمتك ضلت عقول الناس !

ابن عبد الملك

تطورات العصر الحديث
فى الخلق السياسى
للاستاذ محمد لطفى جمعة

نشرت مجلة أوربا Europe التى يشرف على تحريرها الأستاذ رومان رولان Romain Rolland أشهر كتاب فرنسا المقيم فى بلدة نيوفيل على شاطئ بحيرة ليمان بسويسرا ، دراسة مستوفاة عن حوادث السياسة التى استجدت فى أوربا بعد ظهور الفاشية والنازية، وألم فيها ببحث جليل عن حياة هتلر وموسوليني بقلم كاتبة أسراره سنيورينا ليندا رينا لدى وهى التى خدمته بضع سنين ، فآثرنا تلخيصها لمجلة الرسالة التى بعد دخولها فى عامها السابع فتحاً جديداً فى العلم والأدب والثقافة المصرية (ل . ج)

فى تاريخ الأمم وأخلاقها ساعات حاسمة ومواقع فاصلة فتتميز عن الأخرى وتفضلها بالطريقة التى تقابل بها صروف الدهر فى تلك الساعات وهاتيك المواقع. ومثلها فى ذلك مثل الأفراد لدى الملمات والشدائد ، فترى أمة يهولها الاعتداء الأجنبى عليها ويفت فى عضدها ويضعف من نخوتها وينهك من إرادتها ، وما تزال تنحط وتتهالك وتنحل عناصرها حتى تتوارى وتهلك. وهذه عاجزة عن الكفاح فى سبيل الوجود وهى أمة كتب عليها الفناء . ولا فرق فى ذلك بين أمة قديمة أو أخرى حديثة ، عريقة أو طارئة، متدينة بدين منزل أو وثنية، شرقية كانت أو غربية. وهناك أمة تزداد قوة كلما تعرضت للآلام ، وتنمو فيها الفضائل الدفاعية والهجومية كلما اعتدى عليها الأغيار أو قبض على خناقها الغرباء والغرماء . تتيقظ فيها فكرة المجد كلما حاقت بها الأخطار ، وتدب فيها حيوية جديدة كلما حاول عدوها إدناءها من الموت ، وتسرى فى أعضائها دماء جديدة وتجرى فى أعوادها أمواه الحياة

لا نريد أن نعرض للنظامين النازى والفاشى بخير أو بشر ، لأننا لا نريد أن ننزل بهذا البحث إلى مستوى الجدل ، فإننا نحب أبداً أن نحلق فوق الحوادث الراهنة [1] وإن كنا نحترم السياسة ونقدرها ، ولكننا نعلم أنها كثيرة المزالق ، ومواطن التحليل فيها تدنى من الخطأ الذى قد لا يغتفر . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن النظام الفاشى الذى ابتكره السنيور بنيتو موسوليني المعروف فى العالم باسم دوتشى أى الزعيم ، وتبع آثاره هيرادولف هيتلر المعروف فى العالم باسم فوهرر أى الزعيم أيضاً ، قد أثبت وجوده وقدرته على الحياة فقدم بذلك البرهان التاريخى الذى لا بقاء لنظام اجتماعى أو سياسى بدونه ، كما قدمت حكومة السوفيت برهانها منذ سنة ١٩١٧ إلى يومنا هذا . وفوق هذا قد أثبت هذا النظام والقائمون به أنه أدى لوطنهم خدمة جُلَّى وقضى على شرور كثيرة وجلب خيراً وفيراً ودلَّ بذلك على أنه النظام الصالح للوطن الايطالى ، نظام المستبد المحب للخير despote bènévolènt ، وقد أثنى عليه كل من شهده وجنى شيئاً من ثماره داخل إيطاليا. وقد قلب إيطاليا رأساً على عقب، وقال بعض محبذيه إنه جعل من بلادهم جنة على الأرض ، وإن الذين زاروا إيطاليا قبل تفشيه يكادون لا يتعرفونها بعد انتشاره وقيامه وتسلطه ، لأنه صبغ كل شىء بصبغته التى أساسها النظام المطلق والأمن المطلق والأمانة المطلقة ، ولكن هذا النظام العجيب الذى وحد كتلة الأمة وجعلها كرجل واحد وأخضعها لرجل واحد وعلق سائر آمالها برجل واحد ، قد حكم عليه ذووه بأنه نظام قوى ، حتى خطب الدوتشى نفسه فقال « إن الفاشية بضاعة لا تصلح للتصدير ، ولا تضمن أرباحها خارج حدود إيطاليا » ولا نعلم إن كان قال هذا القول تواضعا أو حثاً للأمم على الاقتداء به ، ولكن وجب علينا أن نصدقه لأن رب الدار أدرى بما فيها . وإن كان هذا النظام قد انتحله هيتلر بتحوير كبير وطبقه فى بلاده حتى بذ التلميذ أستاذه . ولم نسمع بصاحب مذهب سياسى أو اجتماعى قبل الدوتشى يحجر على مذهبه ويحرم عليه الخروج من كسر بيته ، بل تعود أصحاب المذاهب أن ينسبوا إليها الصلاحية المطلقة والقدرة والنجاح فى كل زمان ومكان ؛ وإذن لا بد أن يكون سنيور موسوليني قد ذكر هذا الرأى عن مذهبه لحكمة خفيت عن سامعيها فى حينه. وإلا فكيف كان اغتباطه بالنازية واتحادها وابتكارهما محور برلين روما ، ثم تشجيع فرانكو فى وطنه حتى ذاق الأسبان بأس بعض وخربت بلادهم حتى صارت يباباً .

(١) يشير إلى كتاب au dessus de la meleé فوق نطاق المعركة الذى ألفه أيام الحرب الكبرى

باسم مناصرة الفكرة الفاشية النازية. وأظن بعض الناقدين ألموا فى كتبهم فقالوا إنه نظام يعلق الأمة بأهداب رجل بعينه ، فإن شاخ أو مرض أومات تعطلت الإدارة الحكومية وتلكأت فى انتظار ظهور خير خلف لخير سلف، فى حين أن الواجب يقضى بأن تكون القوانين العامة والخاصة هى الأداة الصالحة للحكم بدون اعتبار الأشخاص .

ومهما يكن حكم المستقبل على الفاشية فإن الكثرة من الكتاب الموالين لها أجمعت على نفعها فى مسقط رأسها وخالفتها القلة المدركة من خصومها . ومنهم من أوذى وهاجر باختياره أو نُفِى مرغماً؛ ومنهم من ألف كتباً صوب فيها سهام نقده إلى الفاشية .

وإن يكن فى المظاهر ما يوهم بأن النازية الألمانية تقليد للفاشية الإيطالية ، فلا يصح القول بأن الهتلرية نوع من الفاشية أو تقليد لها ، وإن كانت تشبهها فى تفرد رجل واحد بالسلطة . ولكن الذى يفرق بينهما هو أن الأولى قامت باسم الإصلاح الداخلى ونصرة ذوى رؤوس الأموال ومقاومة الاشتراكية ومطاردة العمال الذين احتلوا المصانع الإيطالية فى سنة ١٩٢٢ وقدم زعيمها فروض طاعته للملك وجامل الكنيسة الكاثوليكية وانضوى تحت لوائهما . أما النازية الهتلرية فاشتراكية وطنية دينها عظمة دوتيشلاند ومجدها فى غلبة الرايخ الثالث ، وقامت باسم حماية الوطن من الاعتداء الأجنبى والخلاص من قيود معاهدة فرساى وتنفيذ خطط بسمارك القديمة ، من التوسع فى أوربا والشرق وتحطيم الشيوعية . وإذن قامت الهتلرية لتكون وسيلة لها غاية تخالف غاية الفاشية . دع عنك الاختلاف فى أخلاق الأمتين وتاريخهما وعناصر حياتهما . وكلتاهما قد هضمت حقوق الفرد وجعلت الدولة هدفاً أسمى وإن كان فى ذلك تأخير « المواطن » والتضحية به ، مما يختلف عن المدى الذى وصلت إليه الحضارة الحديثة فى تفكيرها وسياستها ومجموع مبادئها ، ولا سيما عند الشعوب الإنجلو سكسونية والتيوتونية

وإذن لا تكون الهتلرية وليدة الفاشية ولا شقيقتها الصغرى ، لأن الهتلرية ثمرة التاريخ الحربى والسياسى فى ألمانيا ، وخلاصة نوع من الفلسفة الروحية أو التصوف السياسى منشأه مجامع ميونيخ السرية التى بدأت أثناء الحرب . أما الفاشية ففكرة مبتكرة قامت فى ذهن رجل واحد نتيجة لإدمانه قراءة كتابين : « وعود الزواج » لمانزونى [1] وكتاب الأمير لنيكولاما كيافيلى . وقد صدق حسبانه أنه يصلح شعبه بتنفيذها ووجد معونة كبرى من الأسرة المالكة ومن أصحاب المصانع والكنيسة ، وتشجيعا من الشبان الطامحين إلى الحلول محل كهول السواس وشيوخها ، وكانوا إذ ذاك متلهفين على القوت والمجد ، وكان بعضهم يرقبون النقذ المنتظر يظهر فجأة فى أفق الوطن وكان إذ ذاك خاليا فى تلك الفترة من العظماء القادرين على حمل أعباء الزعامة . فوقع اختيار الحظ على موسولينى . كان بنيتو موسولينى فى أول أمره صحفياً اشتراكيا متطرفاً ، يحرر فى مجلة « أفانتى » إلى الأمام ، لسان حال الحزب الاشتراكى وزعيمه فيرو أحد أساتذة الجامعة . ولما أعلنت الحرب ساهم فى أوائلها، ثم لم ترقه فهاجر إلى سويسرا حيث ذاق مرارة الفاقة والتسكع ، وعاد إلى وطنه يجرر أذيال الخيبة فحدث له ماحدث لاسكندكيرنسكى فى بطرسبرج سنة ١٩١٧ . غير أن الفرق بينهما أنه استمر ونجح حيث تردد كيرنسكى فخاب. فهو ابن ثورة اقتصادية قلب ظهر المجن لحزبه فى اللحظة الأخيرة .

ولا يفوتنا أن أوربا أصبحت بعد الحرب مباشرة نهباً بين الديكتاتوريين فظهر من طرازهم بريمودى رفيرا فى أسبانيا، وبانجالوس فى اليونان، وبلودوسكى فى بولونيا، وتحدثوا عن ديكتاتورية مزمعة فى فرنسا ورشحوا لها أندريه تارديو الذى كان رئيس وزارتها . ففى ظلال هذه الديكتاتوريات وفى مثار النقع الذى طاف بالأجواء قامت الفاشية وأضافت إلى قميصها الأسود درع الديكتاتورية الفولاذى .

وتضافرت بعض الظروف التى لم تكن فى الحسبان وهى نتيجة الحالة السياسية العامة فى أوربا فجعلت لإيطاليا وألمانيا مكانة توشك أن تضع فى يدها ميزان السياسة الدولية ، ولا سيما بعد فوزها الأخير. وتراخت انجلترا وفرنسا فى تأييد نفوذهما لانشغالهما بالمسائل الداخلية. وجدت فى الشرق حرب الصين وتفوق اليابان فانضمت إليها ألمانيا نكاية فى روسيا . ورجعت أوربا فى غير وعى إلى سياسة الاتفاقات السرية. ولعل التناطح بين الشعوب ليس إلا تطاولاً بين الزعماء ومظهراً لقوة إرادتهم ودليلاً على رغبتهم فى الفوز والانتصار على مزاحميهم فى ميادين المجد وعلو الصيت وضخامة الشهرة .

ولدى كل أمة من الأمم مؤثرات وعوامل فكرية تؤثر فى نفوس بنيها ولا تكون الزعامة الصحيحة إلا لمن يعرف استعمال هذه المؤثرات والعوامل التى تتحكم فى النفوس؛ فإذا ما اهتدى الزعيم أو المرشح

(١) لايزال الدوتشى يحتفل كل عام بموعد ظهور هذا الكتاب .

للزعامة إلى تلك العوامل تمكن بسهولة من جمع الأفكار وتوحيد الإرادات الفردية حول فكرته الخاصة وإرادته . وهيهات أن ينجح الزعيم ما لم يكن مفتوناً بالفكرة التي صار داعياً إليها حتى تستولى عليه استيلاء لا يرى معه إلا الفكرة التي ينادي بها ؛ وبدون هذا الإيحاء الذاتي لا يمكنه أن ينجح في التأثير في أذهان الجماهير ، لأنه لا شيء يحرك همتها مثل مظهر الإيمان الذي يبدو على شخص الزعيم . وإن يكن بعض الزعماء أو قادة الفكر ليسوا من النوابغ في صدق الآراء وصحة النظر ، إلا أنهم من أهل الهمة وذوى الإقدام . والفرق بين الفيلسوف والزعيم أن الفيلسوف كثير التأمل، والتأمل يؤدى إلى الشك، والشك ينتهي بصاحبه إلى السكون دون الحركة ، لأن الحركة لا تصدر إلا عن تصميم الإرادة وهو ثمرة اليقين ؛ أما الزعيم فلا يتأمل لأنه لا يشك ، وحينئذ لا يركن إلى السكون ؛ وإذن تكون قوة الإرادة للزعيم أنفع من سلامة الرأى وصدق النظر وحسن التبصر في العواقب، ولكن الذي يفقده الزعماء من تلك الناحية تعوضه عليهم قوة اعتقادهم في سلطانهم على الجموع وتلك الجموع لا تصغى إلا لذوى الإرادة النافذة الذين يتسلط عليهم العقل الباطن ويملك زمامهم . فإذا ما أصبح صوت الزعيم مسموعاً من جماعة ، اندمجت إرادتها في إرادة الزعيم وتناست شخصيتها والتفت حول الزعيم ذى الإرادة المتحدة .

يسألون عن الطغيان والجبروت والاستبداد كيف نمت في البيئات الدكتاتورية والزعامة في أول أمرها لا تحتاج إلى الاستبداد أو الطغيان ، والشاهد أن الذين قاموا بأدوار الطغاة أفراد من المؤمنين الضعفاء الذين ليس لهم حول ولا طول سوى العقيدة والإيمان . فإذا ما وصل الزعيم إلى غايته احتاج حتماً إلى الاستبداد ليستبقيها .

ويعتمد الزعماء من هذا الطراز في تبليغ دعوتهم على الكلام والخطابة والكتابة ، وزعماء العالم اشتهروا بالفصاحة وقوة التأثير في الجماهير . وعمدتهم على تكرار جوامع الكلم لترسخ في أذهان سامعيها . وإذا رجعنا إلى خطب زعماء الناشية والنازية فلا نجد إلا نفس المعاني أفرغت في قوالب شتى لعلمهم بغريزتهم وإدراكهم الباطني أن التكرار يترك أثراً عميقاً في أذهان الخاصة والعامة على السواء . فالزعيم حاذق في حفر فكرته في أذهان أتباعه . وتبدأ الأفكار في الطبقات النازلة ثم ترتقي إلى الطبقات الوسطى فالعليا مثل انتشار أفكار الثورة الفرنسية وارتقائها من طبقات الشعب إلى الوزراء والعلماء . وكذلك الأديان فإنها تنتشر أولاً عند المظلومين والمحاويج والمحرومين والمعوزين إلى استعادة الكرامة والحقوق ، وهذا سر انتشار النصرانية والبوذية بين الضعفاء والفقراء . وقد سادت الاشتراكية أولاً طبقات العمال حتى وصلت إلى العظماء فصار منهم اشتراكيون متطرفون . وكان عدد الذين دخلوا في زمرة الإسلام من الأغنياء والكبراء محدوداً ثم أقبل عليه كل فقراء الجزيرة العربية وعاصمتها الوثنية (مكة) لأنه كان في أول أمره دين مساواة فاستظلوا بسلطانه(١) . وقد أدت الأحوال الطارئة في أوربا ، وضعف الحكومات في بعض الممالك بعد الحرب وسقوط العروش وتزعزع الثقة في الآراء القديمة ، إلى حلول بعض الزعماء محل السلطات الحاكمة ومحو تلك السلطات وتلاشيها في أشخاصهم

محمد لطفي جمعة

على هامش الفلسفة

للأستاذ محمد يوسف موسى

مدرس الأخلاق بكلية أصول الدين

هذه أول كلمات اعتزمت بمعونة الله وتوفيقه موافاة مجلة الرسالة الغراء بها إن تفضلت وفسحت لها مكانا متواضعا بينها رأيت في نشرها خيراً لطلبة الأخلاق في الأزهر وفي غير الأزهر لأنها تتناول بحوثاً لا يستغنى عنها دارس الأخلاق

دعاني إلى التفكير في نشرها، بعد أن تعبت كثيراً في تحقيقها، الرغبة الخالصة في المساهمة في إقامة الأخلاق ودراستها على دعائم علمية صحيحة ثابتة ، وما أعلمه من أن أحداً لم يتوفر على بحثها مع مسيس الحاجة إليها. وهل يليق بدارس الأخلاق أن يذكر مثلا « أنها علم من العلوم » دون أن يكلف نفسه عناء البحث في صحة هذا الاطلاق أو عدم صحته ؟ ثم أليس من الضروري أن يتعرف الباحث بعد ذلك المعين الذي ترجع إليه الأخلاق ، والطريق القويم إلى تحديد القانون الأخلاقي ؟

هذه المسائل التي تحتاج إلى صبر وطول أناة في بحثها ، ونحوها من موضوعات الفلسفة الأخلاقية وما يتصل بها ، هي بعض ما عنيت وأعنى بدراسته ، وما أرجو أن أوفق فيه إلى الصواب إن شاء الله تعالى

الأخلاق والعلم

العلم اليقين ، أو المعرفة العامة المضبوطة الصادرة عن نظر وتمحيص ، أو المعرفة العامة التي تتجه في جهودها نحو العموم للوصول إلى الحقيقة ، هذه التعاريف كلها بمعنى تقريباً . فهل الأخلاق وهي تبحث في الخير والشر والحق والواجب وتعنى بتحديد القانون الأخلاقي وتعرف المثل الأعلى وما شابه ذلك من المعاني الكلية والبحوث النظرية — هل الأخلاق ، وهذا أهم مباحثها، يصح أن توصف بأنها علم من العلوم ؟ وبعبارة أخرى هل وصلت أو تصل الأخلاق إلى آراء وأحكام تبلغ من العموم وقبول الناس لها حداً يجيز لنا وصفها بأنها حقائق علمية، فيكون هذا الفرع من الدراسات الفلسفية علماً من العلوم التي تقرر حقائق وقوانين عامة ؟ هل هي دراسة علمية، أي عمل من أعمال العقل ، أو دراسة مرجعها التقاليد التي سيطرت على الأمم في مختلف الأزمان والبيئات؟

نترك الإجابة مؤقتاً عن هذا التساؤل لنتعجل القول بأنه يعرض بادئ الأمر لمن يتساءل هذا التساؤل حقيقة واقعية تفرض نفسها فرضاً ، هي أن العلم على اختلاف أنواعه كعلوم الطبيعة والرياضة والمنـ[illegible]ـنفس والاجتماع والحياة والتاريخ ، لا يعارض الأخلاق و[illegible]ـن محلها بل يتطلبها

العلم لا يعارض الأخلاق ، لأن العقل العلمي يدفعنا إلى معرفة الحقائق على ما هي عليه وفهمها دون أن نعتمد في بحثنا على أية فكرة أو نظرية لم تمحص بعد تمحيصاً كافياً . لكنه لا يمنع أن نقابل بين الواقع وبين ما يجب أن يكون ، معرفة الواقع والحقائق العلمية لا تحول بيننا وبين أن يكون لنا مثل أعلى أخلاقي يسمو على ما تعارفه الناس جميعاً

كذلك العلم لا يحل محل الأخلاق ولا يغني عنها . العلم يعرفنا الواقع فحسب في مختلف مناحي الكون ومظاهره ، ولا يُعنى ألبتة بما كان يجب أو بما يجب أن يكون . هو يتحقق ولكن لا يحكم . كل العلوم التي أشرنا إليها وأمثالها — ومنها علوم النفس والتاريخ والاجتماع — لا تمدنا بمبادئ للسير والسلوك ، ولا بقاعدة نهتدي في أعمالنا بهديها . لكنها في الوقت نفسه لا تريدنا على أن نمتنع عن طلب هذه المبادئ خارجاً عنها

علم الحياة مثلاً يرينا أن الأنواع الحيوانية في تقاتل مستمر ، وأن الحرب بينها سجال ، وويل للمغلوب فيها لأنها حرب الحياة أو الموت . القوي يفترس الضعيف ، والغلب والبقاء للقادر على تعديل نفسه حسب البيئة التي يعيش فيها . هذا هو قانون الحياة بين أنواع الحيوان ؛ فهل لنا أن نتخذ ذلك مبدأ لنا في أعمالنا ؟ هل مما يتفق مع الأخلاق النبيلة أن نقرر أن الناس — كسائر الحيوان — يجب أن يصدروا في أعمالهم عن مبدأ تنازع البقاء ، وبقاء الأقوى ؟ أو الخير في أن نحكم أنهم على العكس من هذا يجب أن يتساعدوا ، وأن يحترم الأقوياء حقوق الضعفاء ؟

وها هو ذا علم النفس يكشف لنا عما يتركز في طبائعنا من ميول وشهوات وعواطف مختلفة ، منها عاطفة الأثرة وعاطفة الإيثار . أليس لنا أن نعطي لكل من هذه الميول والعواطف قيمته الأخلاقية ؟ كذلك علم الاجتماع ، وقفنا على ما كان من حرب وتطاحن بين العالم في العصور المختلفة القديم منها والحديث . هل هذا التحقق العلمي يكفينا للبت في اختيار أي المبدأين : مبدأ الاحتفاظ بروح العداء بين الأمم والشعوب ، ومبدأ العمل على استئصال العداوة وبذر عواطف العدالة والمحبة العالمية التي تسمح لنا يوماً ما أن نصل إلى سلم عام نهائي وأخوة إنسانية متبادلة

الروح العلمي لا يتطلب منا أن نأخذ العلوم كدليل أخلاقي وحيد ، وإن شئت التعبير على نحو آخر لا يتطلب منا أن نأخذ

مما تكشفه لنا العلوم من حقائق وقوانين مثلاً أعلى نتجه إليه في أعمالنا ونسير على ضوئه وسناه

إن العلم لا يعارض الأخلاق ولا يغنى عنها قط ، بل هو يقرر ضرورة وجودها ولا يستغنى عنها ، وبدونها يكون إثمه أكبر من نفعه . ولنا في تحليل نفسيات العلماء وكشف العواطف التي كانت تسودهم في حياتهم وبحوثهم العلمية ألف دليل ودليل إن صح هذا التعبير . ففي هذه الجهود المضنية التي قام بها العلماء لفهم الطبيعة وأسرارها وللوقوف على النظم التي تسير عليها ، وفي تلك المشاق التي عاناها قادة الأمم وهداتها والمحسنون إلى الإنسانية ، نجد عاطفة أخلاقية كانت تملك على هؤلاء الأبطال ألبابهم ومشاعرهم وتسوقهم إلى أداء رسالاتهم متحملين في سبيل ذلك ما تهد دون بعضه عزائم صناديد النفوس ؛ تلك العاطفة هي الرغبة في خدمة الإنسانية وتحسين حالتها المادية والعقلية . وأيضاً القيمة العالية التي يراها العلماء للعلم ، تفرض أن الأعمال الإنسانية ذات قيم مختلفة : منها العالي ومنها الدون ؛ فالعلم مثلاً أفضل من الجهل ، والهدى خير من الضلال ، والسعي لمعرفة الحقيقة خير من مقاومتها . إذن واجب البحث عن المعرفة وإعلانها يفرض الواجب بصفة عامة ، والمثل الأعلى العلمي يفرض أن هناك مثلاً أعلى عاماً يجب أن ننشده جميعاً

كذلك حب الحقيقة ، وعدم التحيز للهوى ، والإخلاص ، والصبر ، والحمية في العمل ؛ هذه صفات أخلاقية بدونها لا يتحقق عمل طيب علمي بل ولا علم أيضاً . العالم كالرجل الفاضل يستشعر سروراً عالياً روحياً ؛ هو الرضاء بالواجب المؤدي بنبل ، والحياة تقضى في شرف وأمانة . يقول الفيلسوف الفرنسي « إرنست رينان[1] » في كتابه مستقبل العلم : « المعرفة بين جميع الإنسانية أسماها قدراً ، لأنها أكثر بعداً عن الهوى ، واستقلالاً عن المسرات » ثم يضيف : « وإنه لمن العناء الذاهب سدى أن يدلل المرء على قداستها وسموها ، لأنه لا ينكر ذلك إلا من لا يعترف لشيء بالسمو والقداسة »

والمؤرخ الفرنسي العلامة « أوجستين تييري » الذي عمى لإفراطه في أبحاثه الدقيقة التفصيلية يذكر في مقدمة كتابه : «عشر سنوات في دراسات تفصيلية» أنه لو خُيّر في اختيار حياة له ثانية لما اختار إلا أن يكون أيضاً عالماً مؤرخاً ؛ لأن الدراسة الجادة الهادئة مأمن وأمل وحرفة يلي المرء فيها حياته بشرف ... أعمى ومتألم بدون رجاء وبدون راحة ، يمكنني أن أتقدم بهذه الشهادة التي أعتقد أنها لن تكون موضع شك بحال ؛ هي أنه يوجد شيء في العالم خير من الثروة وسائر المسرات المادية ومن الصحة أيضاً : هو الإخلاص للعلم[1] »

هكذا الدراسة العلمية وتحليل نفسيات العلماء ، يكفيان لبيان أن الخير والشر ، وهما موضوع الأخلاق ، يلاحظان دائماً في كل البحوث والدراسات العلمية على اختلافها .

والآن نعود إلى التساؤل الذي صدرنا به هذا البحث ؛ وهو إذا كان العلم — كما تبين — لا يعارض الأخلاق ولا يغني غناءها ، بل يسير معها جنباً لجنب ، هل لنا أن نسير في البحث خطوة أخرى لنعلم ما إذا كانت الآراء والحقائق الأخلاقية تبلغ من العموم حداً يجعلها حقائق علمية ، فتكون الأخلاق علماً من العلوم ؟ الأخلاق علم إذا كان هناك حقائق أخلاقية عامة ؛ ولكن هل البحث الأخلاقي يكشف لنا حقائق أخلاقية عامة للجميع ؟

جواب ذلك فيما يتبع هذا من بحوث إن شاء الله تعالى .

محمد يوسف موسى
مدرس الأخلاق بكلية أصول الدين

(١) إرنست رينان عالم نقادة وفيلسوف فرنسي ومؤرخ معروف ولد سنة ١٨٢٣ وتوفي سنة ١٨٩٢

(١) F. Challaye: Philosophie scientifique et philosophie morale

من ذكريات لندن

غـــريب

للأستاذ عمر الدسوقي

ولّت شهور الصيف مسرعة وأذّن مؤذن الواجب والدرس فلبيت كما لبى رجال يرجون حسن الثواب، وغادرت فرنسا والجسم هزيل، والفؤاد عليل، والذاكرة تنص بصور من الحياة ذات ألوان. طفقت الباخرة تسير باسم الله مجريها ومرساها صوب «نيوهيفن» وما كادت تغادر المرفأ حتى هبت العاصفة، ففتّحت أبواب السماء بماء منهمر، وأعتم الجو، وزأرت الريح وزمجرت، وعبثت بالسفينة كما يعبث الوليد بخذروفه، وعادت لا تستقر على حال من القلق، يجور بها الملاح طوراً ويهتدى؛ تعلو فكأنها على قنة جبل، وتهبط فكأنها بين طيات الأخاديد، والأمواج تلطمها من غير شفقة ولا رحمة، وتدفعها بعنف ذات اليمين وذات اليسار وكأنها جبار يصب جام غضبه على صبي لا يملك لنفسه حولاً ولا طولاً، اللهم إلا البكاء والعويل؛ فكنت ترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكنهم من دوار البحر في ألم مرير؛ وصراخ النساء يشق عنان السماء، ونحيب الأطفال يصدع الصخور الصماء؛ ولو كان للطبيعة الصاخبة قلب لرق ولان؛ وأنى لها وقد أطلقت لشياطينها العنان فأذاقونا العذاب الهون، أربع ساعات وكأنها أربعة قرون

وبعد لأى رست السفينة على الشاطئ الشمالي من بحر «المانش» وتنفست كما تنفس الناس الصعداء، ووطئت قدماى الأرض، وأخذت ألتمسها بيدى لأرى أثابتة هي أم متحركة؛ ونجوت بعد ما يئست من النجاة، نجوت بعد أن كنت أصارع الداء والقيء، والدوار والإعصار. نجوت بعد أن هتفت باسم أهلى فرداً فرداً، والشقة بعيدة بيننا، وليث المنية فاغر فاه، والناس من حولى فى شغل لكل منهم شأن يغنيه

تحرك القطار صوب لندن، فأوجست منه فى بادئ الأمر خيفة، إذ كنت لا أزال حديث عهد بالسفينة القلقة، بيد أن الطمأنينة أخذت تتسرب إلى الفؤاد شيئاً فشيئاً حتى برحته الهواجس، وغادره الوجل

ها ... قد وصلنا إلى لندن!

لست غريباً عنك أيتها المدينة العظيمة! كنت آتيك من قبل زائراً، وهأنذا آتيك مستقيماً مستوطناً، فرحبي بالمهاجر الغريب، وابتسمى له، لعله ينسى عذاب الغربة، وقسوة البحر، وألم المرض. لن تضيق به ذرعاً وهو فرد من تسعة ملايين، فأكرمى وفادته، واطردى وحشته، لعله يذكرك يوماً بالثناء، ويعرف لك هذه اليد البيضاء، وهو بين أهله وذويه

كنت أحدث نفسى بهذا، والسيارة تقلنى إلى بيت كنت أعرج إليه كلما مررت بلندن؛ ووقفت السيارة، وطرقت الباب فخرجت ربة البيت، ونظرت إلى فأنكرتنى. رأت جسماً هزيلاً قد أنهكته العلل، ووجهاً شاحباً قد لفحته الشمس فعادت سمرته مخيفة رهيبة، وسمعت لساناً متعلثماً ينبئ عن نفس مضطربة وفكر تعب، فحملقت وترددت فى الكلام ثم قالت:

— آسفة يا سيدى فكل غرف المنزل مشغولة —

— ألا تعرفين بيتاً آخر أقضى فيه الليل، فأنا على ما ترين، أحوج ما أكون إلى الراحة

فأشارت إلى بيت جارتها، فحييتها وانصرفت شاكراً. ثم طرقت باب الجارة وسألتها فى أدب ولطف، فاعتذرت

وأخذت السيارة مرة ثانية تعدو بى فى شوارع لندن، وكلما رأيت فندقاً استوقفت السائق، وذهبت أقدم رجلاً وأؤخر أخرى وأسأل فى تردد وهيبة عن غرفة شاغرة أقضى بها سواد الليل، وأريح جسمى المتهدم وعقلى المنهوك، وفى كل مرة أجاب بأن الفندق غاص بالزوار، وأعود أدراجى إلى السيارة لأواصل البحث ولسان حالى يقول: وافق حظاً من سعى بجد. بيد أن لندن لاحت حينذاك وكأنها صحراء مقفرة، أخب فيها بين رمال ونجاد وصخور ووهاد، أو كأنى بمدينة قد عفت وأتت عليها يد البلى والحدثان، أو كأنى لا أزال على ظهر السفينة أطلب النجاة بين الماء والسماء

آه يا لندن ... ! ما هكذا حسبتك، أحقاً لا يوجد فيك سرير لغريب يشكو المرض ويطلب الراحة، وأنت عروس

الإمبراطورية العظيمة وأكبر مدن العالم ؟

ليت شعرى ما للقوم كلما رأونى ازوروا عنى ورفضوا سؤلى ، بعضهم فى أدب وبعضهم فى خفة ؟ وهل أقضى الليل هكذا أجوب الشوارع والطرقات ؟

أين مصر ؟ أين مصر ؟

وأخيراً تشجعت وطرقت باب أحد الفنادق ، فخرجت سيدة عوان ، ينم وجهها عن شيء من كرم النفس والأريحية ، فسألتها : أعندك غرفة شاغرة يا سيدتى ؟

— آسفة

— أنا كما ترين مريض متعب من سفر مضن شاق ، وقد قضيت وقتا غير قصير أبحث عن غرفة فلم أوفق ، فإذا كان عندك مكان آوى إليه كنتِ أهلاً لشكر عميم ، وأجر مضاعف

— آسفة يا سيدى

— لا بد من المبيت هنا مهما يكن الأمر

وأخرجت متاعى من السيارة ، ونقدت السائق أجره وقد أربى على الجنيه ، والسيدة تتعجب من تصرفى

— إسمحى لى يا سيدتى فلم أعد أقوى على مواصلة البحث

— ولكن ...

— ولكن ماذا ؟

— الفندق خاص بالإنجليز ولا نقبل فيه أجنبياً ولا سيما إذا كان أسمر البشرة

وهنا ثارت ثائرتى ، وللمصرى نفس عزيزة تأبى أن تهان ، وبه كبرياء تلهب نار غضبه إذا مست كرامته ، ولا سيما إذا كان ببلد غريب ، وقد سمعت مراراً بمعاملة الإنجليز لسمر الوجوه ، ولكنى لم أجرب هذه القسوة من قبل ، وكنت حين يجليني أصحاب الفنادق ألتمس العلل والمعاذير ، ولم يخطر ببالى قط أنهم يرفضون لأنى « رجل ملون » . أما وقد سمعت هذه الكلمات ، فلم يعد هناك ريب فى اكتناه السر الذى تحيرت فى كشف طلاسمه منذ ساعة ، وخاطبتها بصوت تنم نبراته عن ثورة نفسية عنيفة وكرامة مهانة

— إنك لا شك مخطئة ياسيدتى ، فأنا لست زنجياً ولا هندياً ، ولا نوبياً ولا حبشياً ، بل إنى مصرى ، تجرى فى عروق أنبل الدماء ، وحسبك أن تعرفى أننا من أرقى الشعوب مدنية وحضارة قديماً وحديثاً ، ولن أقبل من مخلوق مهما تكن سطوته ومكانته ، أن يلحقنى بهؤلاء الذين ينظر إليهم بعين الازدراء والامتهان ، ويعدهم دونه فى الذكاء والمدنية . على أننى لست فى مقام جدال ، فسأقضى هنا ليلتى ، ولك أن تجرى رجال الشرطة إذا شئت ، ولا سيما إذا كان عذرك هو ما سمعت

ولجت الباب دون أن ألتفت إليها ، وطلبت من الخادم أن تدخل متاعى ، ولحقتنى السيدة دهشة حيرى وقالت :

— مهلاً حتى أريك غرفتك ؛ وحذار أن تظن بى شراً ، فأنا براء من هذه العقيدة ، ولكنى أحرص على راحة عملائى ، ومنهم من يعارض أشد المعارضة لوجود رجل ملون بالفندق ، ويهدد بالرحيل ، وتشويه سمعة المنزل ، وأكثرهم فى ذلك لجاجاً وغلوا ضابط متقاعد ، رأى الشرق عن كثب ، ودأب على ذكر نقائصه ، وعورات أهله ، وأنهم ليسوا إلا همجاً لم يشرق عليهم نور المدنية بعد ، وأن سكناهم معنا مدعاة لتعكير صفو حياتنا وهنائها إذ لكل إنسان عادة لا يستريح إلا لها . أما أنا فمن أصل فرنسى ، وفى ديارنا لا يعيرون هذه الفروق الجنسية اهتماماً ، بيد أنى مضطرة لمجاراتهم ، ما دمت قد اخترت هذه البلاد موطناً لى ، واخترتهم عملاء لفندق ، فلعلك مقتنع بفكرتى . وحين أسمح لك بالمبيت ها هنا لا أرجو إلا شيئاً واحداً ، هو أن تتحاشى رؤية هذا الضابط ، وسأرسل إليك طعام الفطور بغرفتك .

— شكراً لك ياسيدتى ، غير أنك أثرت فى نفسى شعوراً ليس من السهل علىّ إهماله ، ألا وهو محادثة هذا الضابط .

— ليس إلى ذلك من سبيل .

— سنرى .

وانطلقت إلى غرفتى أشد ما أكون تعباً وإعياء ، ولم أكد أنتهى من خلع ثيابى ، والاستلقاء على السرير حتى أتت السيدة بكوب من اللبن ، وقالت فى رفق :

— إنك مريض ، ولعلك بحاجة إلى دواء ، فهل لى أن أقوم بأية خدمة ؟

— شكراً ياسيدتى ، فالدواء عندى ، وسأتناوله بعد هنيهة ، عمى مساء ، وسأراك غداً .

فكرت ملياً فيما رأيت وسمعت ، ثم غلبنى الإعياء فنمت ، وما إن لاحت تباشير الصباح حتى نهضت ، وأنا أحسن

من البارحة حالاً ، وأهدأ بالا ، غير أن النعرة القومية عاودتنى ، فأذكرتنى مأساة أمس ، وأن واجبى هو تبديد هذه الأوهام والأباطيل من عقول هؤلاء المرضى بحمى الغطرسة والكبرياء ، وإقامة الدليل لهم على أن المصرى ، وإن تكن السياسة قد جارت فى حكمها عليه ، إلا أنه أبى ذكىّ ليس من اليسير أن يسكت عن ثأر فى ميدان الكرامة ، أو يصمت عيا فى ميدان الدفاع عن القومية . فلبيت نداء حسى وشعورى ، وارتديت ثيابى على عجل وأسرعت إلى غرفة الطعام ، والقوم لا يزالون نياماً ، وأخذت ألهو بقراءة جريدة حتى مضى بعض الوقت ، فأخذوا يغدون ويجيئون ، دهشين ، متعجبين ، وأنا أرد تحيتهم فى برود مصطنع يخفى تحته نفساً ثائرة على هذا الجهل بمنازل الناس وقيمهم ، وعلى هذا النفاق والرياء .

وأخيراً دخل الضابط ورد تحية الجلوس ، وأجال فى الغرفة نظره فلمحنى ، وظننت بادئ ذى بدء أن وجهه سيتجهم وأنه سيتمتم ويدمدم ، ويثور ويفور ، ولكنه حيا ببرود وجلس ، فجلست تجاهه على الخوان ، وأخذنا نتناول طعام الفطور فى صمت ، وكأننا فى مأتم ، وهممت بالحديث مراراً غير أن الرهبة عقدت لسانى فلم أنبس ببنت شفة . وبعد لأى سنحت الفرصة ، فقدمت ربة الدار ، ووزعت على الجميع تحاياها وابتساماتها ، ولم تظهر امتعاضاً لوجودى بل سألتنى كيف قضيت ليلى ؟

— على خير يا سيدتى ، شكراً . إنى ليسرنى أن أتعرف بجندينا الذى ذكرته أمس ، فهل تكرمين بتقديمى له ؟

— بكباشى سمث . صديقنا هذا من مصر ، وقد حدثته عنك أمس ، وأنك زرت بلاده ، وعرفت أهلها وحدثتنا طويلاً عنهم .

فأجاب الضابط فى فتور .

— هذا حسن ، وأومأ إلىّ برأسه ، فقلت :

— إنى ليسرنى أن أتشرف بمعرفتك يا سيدى ، ولقد أنبئت أن لك رأياً خاصاً فى الشرق والشرقيين ، يحملك على الأنفة والترفع عن مخالطتهم ، ولو سمحت وبينت لى هذا الرأى لكنت لك من الشاكرين .

فألقى على ربة المنزل نظرة كلها تعنيف وتأنيب ، ولاح عليه بعض التردد ، غير أن بقية الزوار حثوه على الكلام قائلين :

دعنا نسمع رأيك ، والرد عليه ، فطالما حدثتنا عن الشرق أحاديث تقشعر منها جلودنا ، ولم نجد بيننا من يدحض رأيك أو يعترضك ، وها قد سنحت الفرصة لمعرفة الحق .

فكرر ما قالته ربة البيت ليلة أمس ، وزاد أن الشرق لا يصلح إلا وعنانه بيد الغرب ، وأن الشرقيين لم يخلقوا للمدنية الأوربية ، والأولى بهم الاستمساك بعاداتهم الهمجية ، وترك التقليد الأعمى ، وأما مسألة الترفع فذلك أن لكل قوم عادة ، وليس توافق العادات بالأمر الهين ؛ ثم إن مركزنا الأدبى فى العالم يقتضى أن نترفع عن الشعوب الملونة ، ونشعرهم بمكانتنا التى لا تسامى حتى ندخل فى قلوبهم الروع والرهبة ، وحتى نعودهم الصغار والذلة . وتلك سياسة رجال الجيش البريطانى فى المستعمرات ، وإن لم نفعل ذلك تجرأ علينا الأهالى ؛ وذهب سلطان الحكم وجلاله .

— آه ! الآن عرفت الحقيقة ، إذاً لا يوجد هناك تفوق فى الذكاء كما لا يوجد تفوق فى ميدان الحضارة والاستعداد لتقبلها ، ولكن المسألة استعمارية بحتة . إن كان الأمر كذلك ، فإنى أتنبأ لامبراطوريتكم بالزوال العاجل . إن هذا الترفع ، وهذه الكبرياء تبعد بينكم وبين تفهم نفسيات الشعوب المحكومة ، وتجعلها دائماً تشعر بأنكم أجانب ، وتملأ قلوبهم قيحاً ، وتشحنها غيظاً ، وتحرك فى نفوسهم نار الثورة الهامدة ، فيهبون لطردكم والتنكيل بكم . لم لا تحتذون حذو العرب ، وقد أسسوا بنيان ملكهم على قواعد من المساواة والمحبة والإخاء ، ولذا تشرب المحكومون تعاليم دينهم ومدنيتهم وتعلموا لغتهم ، واندمجوا فيهم . لست هنا لأعطيك والحكومة البريطانية درساً فى فن الاستعمار ، ولكن الاستعمار فى رأيى ورأى العقلاء ، ليس استعباداً ، اللهم إلا فى رأيكم أنتم .

— مرحى ، مرحى ! ! هكذا هتف بقية الزوار ، ما عدا الضابط الذى وجد فىّ مجادلاً يكيل له صاعاً بصاع ويقرع الحجة بالحجة . ثم استأنفت الحديث منتهزاً فرصة صمته :

— يخيل إلىّ أنك لم تعرف المصريين حق المعرفة ، وإلا كان حكمك عليهم غير ما سمعت ، ليست القضية يا صديق ، قضية تفرقة فى الألوان ، فها هى ذى اليابان قد بزتكم فى ميدان الصناعة وغزت دياركم بمنتجاتها ومخترعاتها ، ولولا عهد الأتراك بمصر ، ولولا تدخلكم فى شئوننا ، لكنا اليوم أمة لها فى ميدان العلم والنور

ورد المســــاء

مهداة إلى أستاذى الدكتور عبد الوهاب عزام

للأديب محمد أحمد البنا

انطوت صحيفة النهار ، وآب العالم من رحلته فى اليوم الجديد ، ورست السفينة على شاطئ بحر الحياة ، ولم يبق من الأصيل إلا العسجد المنثور على أطراف النخيل وعلى أمواج النيل

وعاد العاملون إلى مساكنهم ، والطيور إلى وكناتها . وسبح لله ما فى السموات والأرض

ثم استقرت الأكوان . وخشعت الأصوات للرحمن ، وكأنها تتناجى فى حمد خالقها وشكر بارئها ببلاغة الصمت فى لسان الحال . بعد بلاغة الإفصاح بلسان المقال

* * *

إلـهى : سبحانك يا من جعلت الليل سكناً ، والمساء وطناً لترد إلى المتفرقين ألفتهم ، وإلى المتعبين المكدودين راحتهم ، ليهنئوا بالمنام ، ويأنسوا فى دولة الأحلام

إلـهى : سبحانك يا من جعلت الليل لباساً والنهار معاشاً . كما خلقت الأرض مهاداً رحيباً والسماء سقفاً مرفوعاً

ربّنا : عليك توكلنا ، وإليك أبنا ، وإليك المصير

إلـهى : لقد بكرنا إلى الكفاح مع الصباح المقبل فى نور رحمتك ، ثم عدنا فى ظل سكينتك مترنمين بشكرك ، ونحن بنعماك آمنون ، وعلى جانبك القوىّ متوكلون

أسلمنا الجنوب إلى المضاجع ، والجفون إلى وساد الكرى على أمانٍ من عينك الساهرة ، واطمئنان من رعايتك الوافرة

إلـهى : لئن أثقلتنا الأوزار ، وأنقضت ظهورنا الخطايا ، وتنازعت قلوبنا المعارك الدامية من حرب الحياة القائمة ، وصراعها الدائم ؛ فإن لنا من برّك مرجعاً ، ومن الرجاء فيك موئلاً ، ومن رضوانك مستقراً ومقاماً

إلـهى : إن لك علينا من الآلاء ما لو كان كل نفس من أنفاسنا كلمة حمد وآية شكرٍ لك على عظيم آلائك وجزيل عطائك ما كنا نوفيك بذلك كله حقك فتقبل منا إنك أنت الوهاب

إلـهى : وآمن روعنا وأمّن سربنا وارزقنا فى الضعف قوة ، وفى الخوف أمناً ، وامنحنا من لدنك نوراً يهدى ضمائرنا ، ويرشد حائرنا ، ويؤلف على الحق مشاعرنا

لك يا إلـهى أولنا وآخرنا ، وباطننا وظاهرنا ، لا تخفى عليك خافية من أمرنا ، فمنك خلقنا وإمدادنا ، وإليك مردّنا ومآبنا .

فامنحنا القوة لليوم الجديد ، واحينا فيه على خير ما تحب لنا وترضاه منا ، وهب لنا من لدنك رحمة ، وهيئ لنا من أمرنا رشداً

محمد أحمد البنا
بكلية الآداب

شأن رفيع . على أننا لم نيأس بعد ، وسوف تسمع اسم مصر يكتب فى سجل الخلود بماء من ذهب ونور . ثق تماماً أن المصرى يفوقك فى الذكاء ، وتفوقه فى القوة المادية ، أما « اللون » فكلنا من آدم ، وآدم من تراب ، وكتبكم المقدسة على ما أقول شهيد . لست أريد إقناعك ، ولكنى أرضى كرامتى ، وعزة نفسى ، وأعطيك درساً فى احترام غيرك مهما يكن جنسه ولونه ، حتى تخبره ، وتعرف خلاله وتفكيره ، والآن اسمحوا لى سادتى بالانصراف وأشكركم على كرم وفادتكم

غادرت المنزل واستوقفت سيارة ووضعت بها متاعى ، وأخذت أبحث مرة أخرى عن مسكن أقيم فيه وأتفرغ للجهاد فى سبيل العلم

آه يا لندن ... لقد جرعتنى نُقَب الهمام أنفاساً ، وأريتنى ليلة أمس وجهاً عبوساً متجهماً ، وأعطيتنى درساً لا ينسى . أهكذا يفعل أهلك بالغريب ؟

مطرا قراه وهرّته كلابهم وجرّحوه بأنيابٍ وأضراس

محمد الدسوقى

التاريخ فى سير أبطاله

محمد شريف باشـــــا

للاستاذ محمود الخفيف

كان شريف فى عصره رجلا اجتمعت فيه الرجال وكانت مواقفه توحى البطولة وتخلق الأبطال ...

— ١ —



تحت هذا العنوان نضع اسم شريف ، وفى هــذا المجال نأتى بقبس من سيرته ؛ ومن أولى من شريف أن يتبوأ بين الأبطال مكاناً عليًّا ، إذا نحن ذكرنا رجال حركتنا القومية ؟

ولئن كانت جهود شريف لم يفد منها غير وطنه ، ولئن لم يدو اسمه فى آفاق العالم كما دوت أسماء غيره من الأبطال ، فكثير سواه كانوا فى ذلك مثله ، خطورتهم فى أوطانهم فحسب ، ومع ذلك فلم ينكر عليهم بطولتهم إلا ظالم أو ذو غرض ... وما البطولة فى جوهرها إلا أن يسمو الرجل على الحوادث ويقهرها إن غالبته، وأن يسخرها ويوجهها إن سالمته ، فإن لم يتسن له هذا ولا ذاك كان فى كفاحه ومقاومته وتعاليه عن أن يذل أو يذعن دليل رجولته ومقياس بطولته . وما كانت الشهرة من دلائل العظمة أو من بواعثها ؛ فلكم تشهد الحياة من رجال يحسبهم الغافل من أوزاع الناس وإن لهم لنفوساً تنطوى على عناصر البطولة كأكمل ما تكون البطولة ...

ولقد كان شريف عظيماً بنفسه قبل أن يكون عظيماً بمنصبه. كان رجلاً فى عصر عزت فيه الرجولة وتطامنت فيه أقدار الرجال إما من شر يتقونه أو خير يرجونه ... ولذا يعتبر شريف بحق خالق جيل وباعث نهضة ، فهو فى عصره كان الرجل الذى اجتمعت فيه الرجال ، وكانت مواقفه توحى البطولة وتخلق الأبطال ...

وكان شريف تركى العنصر ما فى ذلك شك ، ولكنه لم يعرف له وطناً غير مصر ولا قوماً غير بنى مصر . ولما بلغ أشده كان من رجال هذا الوادى فى طليعة العاملين منهم والمجاهدين ؛ يتلفت الرجال إذا حزبهم أمر أو أخذتهم حيرة فلا تستقر أعينهم إلا على شريف، ولن يتقدم لنصرتهم فى مواطن الخطر والشدة غيره

تم الأمر فى مصر لمحمد على ، ذلك العصامى الفذ ، وأثخنت جنوده فى صحارى العرب وفى مطارح السودان ، وتهيأت مصر لأن تستقبل على يد هذا البطل عصراً من عصور يقظتها كان الجيش فيه المحور الذى تدور عليه نهضتها . وفى صدر هذا العصر الفتى ولد محمد شريف ، فكان مولده بالقاهرة فى شهر نوفمبر من سنة ١٨٢٦

وحمله أبوه، وقد انقضت مدة خدمته بمصر معه إلى الآستانة . وكان هذا الأب فى مصر قاضى قضاتها ، ولكنه لم يلبث بالآستانة إلا بضع سنين ثم اختير للحجاز، فمر بمصر ومعه ابنه ؛ ووقعت عينا واليها على الغلام ، وكانت عينا الوالى تلمحان النجابة فى سرعة عجيبة ، ولذلك طلب إلى أبيه أن يبقيه عنــده ليقوم على تربيته . وكان محمد على يومئذ فى ذروة مجده تهدد جيوشه عرش الخلافة وتحمل على الإعجاب به فرنسا، وعلى الحنق عليه انجلترة ؛ وكان همه منصرفاً إلى الجيش ، فإذا بنى الرجال وأعدهم ، فإنما يكون ذلك ليتخذ منهم دعائم جيشه

وبقى الغلام فى القاهرة وأدخل المدرسة العسكرية التى أنشأها الوالى بالخانكة ، فيمن أدخل من أبناء الأمراء ووجوه القوم؛ ومن ذلك الحين صارت مصر وطن شريف الذى لا يعرف له وطناً سواه

وهكذا نشأ شريف نشأة عسكرية ؛ ولكن جيش مصر ما فتئت انجلترة تعمل على القضاء عليه حتى تم لها ما أرادت ،

ولما يزل شريف فى سن اليفاعة ؛ واستطاع بالمرستون أكبر الكائدين لمحمد على أن يرغم الباشا عام ١٨٤١ على « أن ينكمش فى قوقعته الأصلية فى مصر » . وجاء فى فرمان السلطان فى تلك السنة للباشا المغلوب على أمره أنه « يكفى أن يكون لمصر ثمانية عشر ألف نفر من الجند للمحافظة فى داخلية مصر ولا يجوز أن تتعدوا هذا العدد لأى سبب ما . . . » وأذعن الباشا ولم تغنه صلته بفرنسا ومظاهرتها إياه ؛ فما كانت انجلترة لتسمح بظهور مثل قوته فى مصر وهى التى جعلت أساس سياستها منذ الحملة الفرنسية ألا يقوم فى وادى النيل نابليون آخر

وكان الأجدر بالشباب بعد هذا أن يتجهوا وجهة غير وجهتهم العسكرية . لقد أوفدت الحكومة فريقاً منهم إلى فرنسا فى عام ١٨٤٤ ، وكان من هذا الفريق محمد شريف ، فاختار أن يدخل مدرسة سان سير الحربية

كانت هذه المدرسة التى التحق بها شريف من أشهر المدارس يومئذ ؛ وإن فى اختياره المدرسة الحربية فى تلك الظروف لدليلاً على أن الجندية كانت توائم طبعه ، ففى الجندية الصحيحة حياة الإقدام والهمة والنظام والطاعة ، وتلك صفات امتاز بها شريف رجل السياسة فيما ظهر من أعماله بعد

قضى شريف فى تلك المدرسة عامين تجلى فيهما ذكاؤه وطموحه ، ثم انتقل بعد ذلك إلى مدرسة تطبيق العلوم العسكرية ، فلبث بها عامين آخرين انتظم بعدهما فى سلك الجيش الفرنسى كما تقضى قوانين تلك المدرسة ليأخذ قسطه من المران العملى ؛ ثم تخرج شريف ونال رتبة يوزباشى أركان حرب فى ذلك الجيش

ولم تله شريفاً شؤون فنه عن غيره من الفنون ، فراح يقرأ التاريخ والسياسة ، ولا يفتأ يستزيد من المعرفة ، مستعيناً فى ذلك ببصيرة نيرة كانت من أظهر مواهبه ، وعزيمة صادقة كانت فى مقدمة خلاله ؛ وأتقن شريف الفرنسية وحذقها حتى لقد كان يعجل نها لسانه كأنه أحد أبنائها ، كما درس شريف طباع الفرنسيين ووعى قلبه ظرفهم وأناقتهم ، حتى صار بينهم وهو ذلك الفتى الشرقى وكأنه منهم ، ولذلك لقب « بالفرنساوى » وصار يجرى لقبه هذا على ألسنة معاصريه .. وليس معنى ذلك أن شريفاً قد جعل بينه وبين قومه سداً بما تعود من عادات الفرنسيين ، فما كان مثله بالتكلف ، ولقد كان له من أصالته واعتداده بنفسه ما ربأ به عن ذلك العيب ، وإلا فكيف أصبح حين عاد إلى وطنه أشد الرجال مقاومة للنفوذ الأجنبى ؟

وولى أمر مصر عباس باشا الأول فأعاد أعضاء البعثات العلمية من الخارج ، فعاد شريف فيمن عادوا عام ١٨٤٩ م . ولقد نستطيع أن نتصور ما تركته حال مصر يومئذ من أثر فى نفس هذا الفتى الطموح ، فلقد تعلم وتأهب ليعود فيجد المدارس تغلق أبوابها ، والجيش يهلك عنه سلطانه بعد أن انهدت أركانه ؛ ويجد مصر وقد ذلت بعد عزة ، يبدو عليها مثل ما يبدو على ذى القوة والبأس وقد جرد من حسامه ، وعاهلها ناقم على العصر ومظاهر العصر ، ونافر من الأجانب وما يأتون به مما كان يعده من أنواع الغرور والبهتان

ضاقت مصر عن همة شريف وعن علم شريف ولكن أين يذهب وليس له غير مصر ؟ وإذاً فليرض بأن يأخذ فى الجيش المصرى نفس الرتبة التى أخذها فى الجيش الفرنسى فليس من هذا الرضاء بد . ولئن كان جيش مصر لا يعمل فربما أتت الأيام بما ليس يجرى فى بال أحد ، فينصرف شريف من ميدان إلى ميدان إلا يكن فيه قتال فليس يخلو من نضال ...

وفى مصر اتصل شريف بسليمان باشا الفرنساوى ، وأعجب به القائد الكبير وأخلص له الود والمحبة ... ألا ليت هذا اللقاء كان أيام نصيبين وكوتاهية ، وإذاً لرأى التاريخ ماذا كان عسيا أن يأتيه شريف الجندى فى ميادين البطولة والتضحية ، ولكنه كان فى تلك الأيام لا يزال طالباً يتطلع ويأمل

ولن يزال سليمان يوليه من عطفه وتأييده ، ثم يلحقه بحاشيته الحربية فى منصب (الياوران) ؛ ويظل هذا عمله فلا يخوض معركة ولا يرسم خطة ؛ وعباس فى شغل عن الجيش لأنه فى غنى عنه ، ولكنه يضيق بما هو فيه ولا يطيق صبراً على إغفال عباس له وإن لم يقصد عباس هذا الإغفال ، فيعتزل الجندية التى لم يكن له منها غير اسمها ، ويكون هذا الاعتزال من جانب شريف أولى خطواته فى الدفاع عن كرامته ، ولسوف تكون له بعدها خطوات لن يخطوها إلا ذو عزة وذو نخوة ...

ويلتحق شريف بدائرة الأمير عبد الحليم ردحاً من الزمن يشرف على أعمالها بما اشتهر به من فطنة وبعد همة . ولقد كان الأمير وهو نجل محمد على من أقرانه فى البعثة ، فألان له جانبه وزاد فى إكرامه وإعزازه ... وشريف يقبل حياة الدعة على رغمه ، ففى طبعه ميل إلى النضال والكفاح ، وفى خلقه اعتداد يشبه الزهو ، بل لقد كان يبلغ به الذهاب بنفسه أحياناً حد الصلف ، وتلك خلة لا يسعنا إلا أن نعدها على شريف مهما تكن بواعثها

وأخذ سعيد الولاية بعد موت عباس ، وكان سعيد ولع بالجيش ،

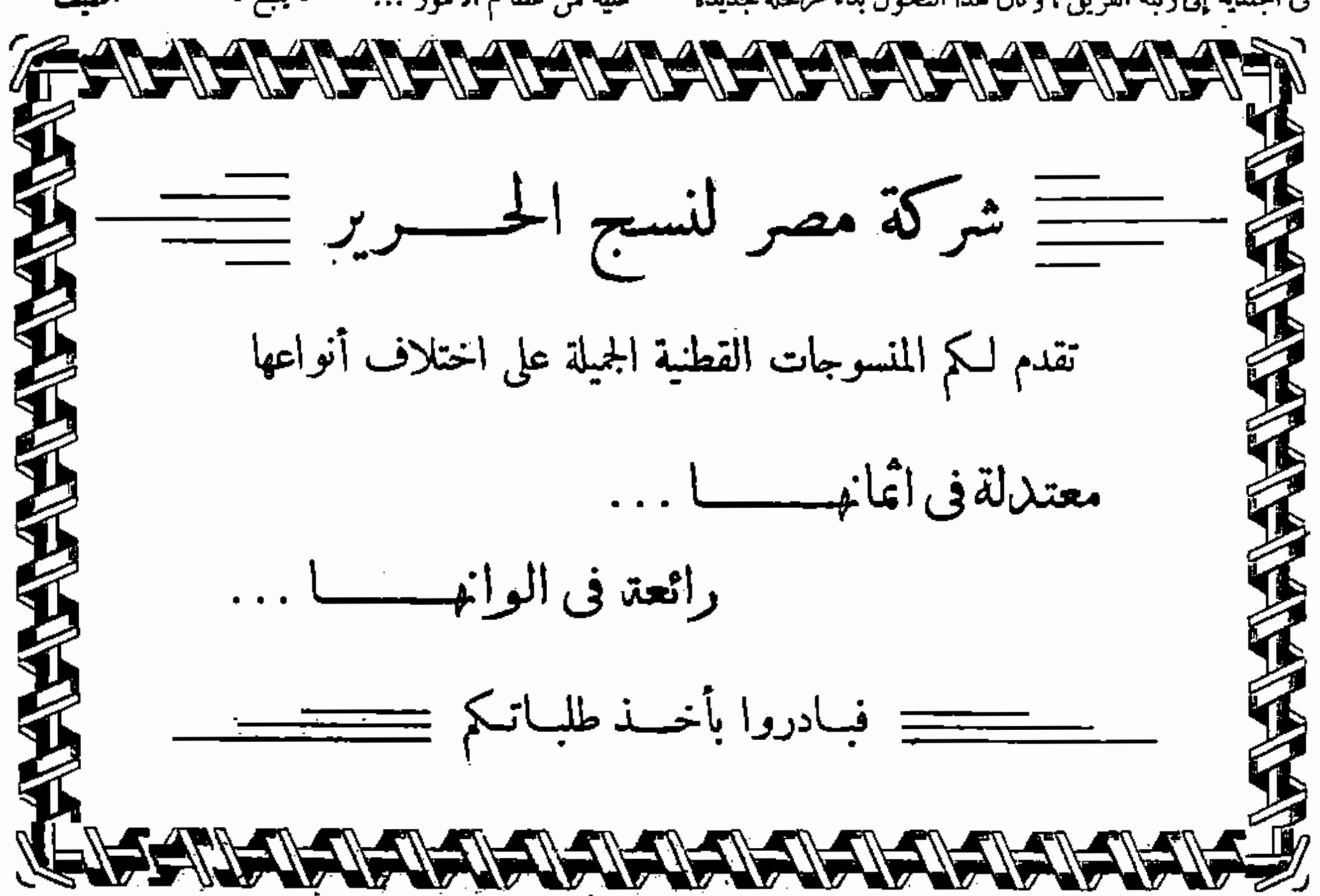
وإن لم تكن به حاجة إليه ، وحمله حبه للجيش على أن يشهد تدريبه بنفسه ثم بسط له يده كل البسط ، فألبسه أحسن اللباس وأطعمه أجود الطعام ، ومد له أسباب الترف والنعيم ، حتى لقد كانت تقاس كفاية ذلك الجيش عنده بحسن مظهره ووجاهة رجاله ...
وكان شريف وجيه الطلعة جم الأناقة فضلاً عما كان يتحلى به من صفات الجندية ؛ لذلك جعله سعيد من المقربين ، ورقاه إلى رتبة (أمير ألاى) ، ثم ما لبث أن رفعه إلى رتبة (لواء) ووضعه على رأس الحرس الخصوصي؛ وهكذا يعود شريف إلى الحياة العسكرية إن جاز لنا أن نسمي حياة كهذه حياة عسكرية ...

وازدادت عرى المودة توثقاً بينه وبين سليمان باشا فزوجه من ابنته ، وفرح شريف بما ساقه القدر إليه من حظ عظيم ، وكان اسمه قد أخذ ينتشر بين معاصريه من البعداء عن الحاشية ووجوه القوم ، وعرف الناس يومئذ عنه النزاهة والاستقامة ، وأعجب من تسنى لهم رؤيته بما كان يبعثه مرآه في القلوب من هيبة وبما كان يشيعه في النفوس من حب ... والحق لقد كان شريف على جانب عظيم من قوة الشخصية ، شهد له بذلك الأجانب والوطنيون على السواء

وبدا لسعيد فال به من الجندية إلى السياسة بعد أن وصل في الجندية إلى رتبة الفريق ، وكان هذا التحول بدء مرحلة جديدة في تاريخ حياته ، مرحلة حافلة بجلائل الأعمال سلكت شريفا في عداد الأبطال ؛ بل لقد كان هذا التحول بدء مرحلة جديدة في تاريخ مصر ؛ ولا غرو ، فلقد عظم فيها خطر شريف حتى صار تاريخه تاريخ مصر في طور من أطوارها ، وتلك منزلة لم يبلغها إلا أفذاذ الرجال ، أولئك النفر الذين يتوقف مصير عصرهم على ما يعملون ، أو الذين تجد فيهم الحوادث أدواتها الحية إذا ما تمخضت تلك الحوادث عن ثورات وراحت كل ثورة تبحث عن رجلها حتى تهتدي إليه فتستقر في رأسه وفي جنانه .. وأي دليل على العظمة أقوى من أن يكون تاريخ الرجل هو تاريخ عصر من عصور وطنه ؟ على هذا الأساس قامت عظمة سعد في مصر الحديثة ، وعظمة لنكولن في أمريكا ، وبسمارك في ألمانيا ، وفردريك الأكبر في بروسيا ، وبطرس في الروسيا ، وغيرهؤلاء من الرجال فيما سلف من العصور وفيما اختلف من الأمم...

اختار سعيد شريفا ناظرا للخارجية ، وهنا أخذت مواهب ذلك الجندي تظهر في السياسة فتبهر ، وما لبث أن وجد شريف سبيله إلى قلوب من اتصلوا به فحمل أنصاره على محبته ، وحمل خصومه وحاسديه على إكباره وإن لم يريدوا ، وتهيأ لمصر في شخصه الرجل الذي لم تكن لها مندوحة عنه فيما هي مقبلة عليه من عظائم الأمور ...

« يتبع » **الخفيف**



استطلاع صحفي (ريبورتاج)*

٢٠ سنة في مكافحة البلهارسيا

مرض تضخم الطحال

في مصر علماء وأطباء يفنون جهودهم سنين طويلة على تحقيق نظرية أو اكتشاف ظاهرة . وهذه قصة طبيب سلخ عشرين عاما من حياته ليخفف عن الفلاح آلام المرض ويقي الأمة عوامل الضعف والانحلال

وهم يعيشون للناس أكثر مما يعيشون لأنفسهم حتى ليفضلون ملازمة مريض أو الاشتغال في معمل على الظهور في المجتمعات . ولذلك رأينا أن نتصل بهذه الفئة من الباحثين فنكشف عن جهودهم ونطلع الناس على أخبارهم لعلنا نوفي العاملين قدرهم .

في الوجه البحري حيث تكثر المستنقعات ، وحيث وسائل صرف المياه مازالت على أسوأ طرقها تنتشر البلهارسيا بين الفلاحين فتنزف دماءهم ، ولا تقف عند هذا الحد بل تسبب لهم مرض تضخم الطحال فتكبر بطون الرجال والسيدات وما هم بحبالى ، إذ يحمل مرضاهم طحالاً متضخما يزيد وزنه على وزن طفل في ستة أشهر . فيبلغ وزن الطحال خمسة كيلو جرامات مع أن وزنه العادي يتراوح بين ١٧٠ و ٢٠٠ جرام تقريباً أي أن المريض يحمل ما زنته خمسة وعشرون طحالا

ظل هذا المرض معضلة الطب المصري حتى سنة ١٩٢٩ إذ تمكن الدكتور أنيس أنسي بك مدير معامل الصحة من اكتشاف سببه ، ثم قدم بحثه للهيئات الطبية العالمية فنال موافقتها ، وأخيراً سجله في « بورصة الأبحاث الطبية » الجمعية الملكية البريطانية لطب المناطق الحارة في ٢٥ ابريل الماضي

ويتضخم الطحال لأسباب عدة ، منها الإصابة بحمى الملاريا أو بالتغيرات اللمفاوية العامة ؛ وفي هذه الحالات يسهل تشخيص الداء بالطرق الفنية والميكرسكوبية كفحص الدم مثلاً ، إلا أنه في حالة الإصابة بالبلهارسيا تضيع كل الدلائل ولا يظهر بالطحال أي خلل أو عيب ، فيرى الطبيب أن مريضه سليم الجسم ، وأن كل عضو يؤدي وظيفته بانتظام إذا استثنينا كبر الطحال مما يضني الجسم ويرهق العضلات فلا يجد الطبيب مفراً من استئصاله ليخلص المريض المسكين من حمله الثقيل ، ولا يخفى ما يتعرض له المريض من المضاعفات الخطيرة أثناء إجراء عملية كبيرة كهذه . أضف إلى ما يصيب الجسم من عوارض سيئة تنتاب الحيوان والإنسان بعد مضي وقت من استئصال مثل هذا العضو المهم

أهمية الطحال

والطحال هو « بوليس » الجسم لأنه ينقي الدم من الأجسام الغريبة ويقتل الميكروبات الضارة ، فهو مخزن كرات الدم البيضاء والخلايا الأكولة ، وهو يمد الجسم بالعناصر الدفاعية العديدة التي ما زال منشؤها غامضاً على الطب . فاستئصال الطحال إذن يعرض حياة الشخص للأمراض المختلفة ، ويجعل حياته قصيرة الأجل إذ يفقد الجسم القدرة على مقاومة الأمراض



طحال مصري عند بدء إصابته بالمرض ووزنه ٣٧٥ جم (١) اللب الأحمر وبه أجسام غريبة (٢) محفظة الطحال (٣) سرة الطحال (٤) أنزفة منتشرة من تأثير إصابته بالبويضات

وعز على الأطباء أن يقفوا حيارى أمام تلك المعضلة التي اختصت بها مصر من دون بلاد العالم . وأثار فضولهم أن يروا مرضاً خطيراً لا يدركون من أمره شيئاً ، بل إن كل ظواهره هي ظواهر الحالة العادية للطحال فلا يوجد به علامات تسبب ذلك التضخم

تضاربت الظنون والفروض ، وقدر الأطباء ما شاءت لهم نظرياتهم ثم أخرجوا فروضهم إلى حيز العمل ولكن المرض ظل على حاله . وزاد حيرة الباحثين كثرة المرض وظهوره الفجائي ، ففي كل عشر إصابات بالتضخم أمكن الطبيب أن يعرف سبب ثلاث حالات أو أربع ويعزوها إلى حمى الملاريا أو الكلازار أو الأورام وفي باقي الحالات كان يقف أمام سر مغلق

وازدادت حيرة الأطباء عندما لاحظوا ظهور التضخم فجأة ، إذ كان المرضى يؤكدون أنهم كانوا بصحة جيدة منذ شهور قليلة مع أن حالات التضخم التي يعرفها الطب تحتاج إلى سنوات .

(*) الرسالة : آثرنا كلمة (استطلاع) في ترجمة (ريبورتاج) على كلمة استخبار ليكون هناك فرق بين المستخبر الباحث والمستخبر الناقل

وكذلك لاحظ الأطباء أن أكثر حالات التضخم المجهولة كانت كثيرة فى الوجه البحرى فتبلغ نسبتها ٣٠ إلى ١ فى الوجه القبلى . وعندئذ جزم الدكتور أنيس بأن « هناك حالة مرض مصرى عضال غير معروف سببها ، كثيرة الانتشار فى مصر السفلى »



قطاع فى طحال متضخم نتيجة عدوى بالبلهارسيا ويلاحظ أن جدره غليظة كما تظهر فيه عدة أنزفة منتشرة منه

الحلقة المفقودة

بدأ الدكتور أبحاثه فى سنة ١٩٠٨ وكان وقتئذ مساعد أستاذ فى القصر العينى حيث راقب حالات التضخم وحاول أن يعالجها . ولكنه لاحظ أن كل الحالات التى ترد إلى المستشفى حالات مزمنة وصل فيها تضخم الطحال إلى حد أرغم المريض على الرقاد فأيقن أن إحدى حلقات المرض مفقودة ولم يطلع عليها الطب . وبعد تفكير طويل تيقن بأن هذه الحلقة المفقودة هى بدء المرض أو حالاته الحادة

فإن فلاحينا من الفقر لا يستسلمون للمرض إلا إذا ثقلت وطأته على أجسامهم فلم تحتمل شدته . فإذا أضفنا إلى هـذا أن وظيفة الطحال هى الفتك بالميكروبات والأجسام الغريبة ثم التهامها سهل على الطبيب أن يستنتج أن ميكروب المرض من الضعف بحيث يفتك به الطحال أولاً بأول . واحتاج هذا الغرض العلمى إلى تحقيق يتناول المرض فى حالاته الحادة أو الحديثة التى لا يهتم بأمرها الفلاح . وعندئذ ظهرت مهمة الطبيب شاقة ، لأن هذه الحالات ليست فى المستشفى ولا عند الأطباء ، بل هى هناك فى القرى وداخل الأكواخ

وذهب الدكتور أنيس فى طلب الفلاحين ، فزار مرضاهم فى بيوتهم وما كاد يبدأ بحثه حتى اشتد عجبه إذ وجد ٨٠ فى المائة من شبان الفلاحين وأطفالهم مصابين بهذا المرض العجيب ولكن تباشير النجاح أيضاً بدت . فها هى ذى ظواهر ديدان البلهارسيا . وهاهو ذا أثر الصراع بين محتويات الطحال وبين تلك البويضات. فهل ديدان البلهارسيا هى السبب ؟

لنجيب على هذا السؤال بنعم يجب أن نجد بويضة البلهارسيا نفسها . وهذه إن وجدت فلن يسهل العثور عليها إلا فى طحال الأطفال أو فى حالات المرض الأولى أو الحادة . فإن طحال الطفل أضعف من أن يهضم هذه الدودة الخطيرة وبويضتها ؛ وبهذا وضع الدكتور يده على مفتاح المرض وبقى عليه أن يكشفه فيصور البويضة فى الطحال كما يجب عليه أن يلقح الطحال بديدان البلهارسيا ويرى النتيجة

واستحضر لذلك قردة خاصة عرفت باصابتها بهذا النوع من المرض وهى تجلب من جزر الهند الغربية . وأجرى تجاربه مدة طويلة احتاج أثناءها إلى أكثر من ٣٠٠ قرد . واستعان بالأرانب فكان له منها ضحايا فى كل يوم



بويضة البلهارسيا فى الطحال وتبين (٥) قشرة البيضة (٦) جزءاً ذائباً فى القشرة ويرى جزء صغير من الجنين حالة اتصاله بخلايا الطحال خارج القشرة حيث تنتك خلايا الطحال الأكولة بجنين البلهارسيا وتبين (٨) إحدى الخلايا الأكولة العائمة

معركة حربية

ونجحت التجارب فثبت الغرض . ويقول الدكتور فى تعليل تضخم الطحال « إنه عندما تغزو بويضات البلهارسيا لب الطحال تحدث به التهابا حادا سريعا تعقبه على عجل استعدادات وترتيبات لازمة تبتدىء بعملية التجاذب بين مواد الطحال والجسم الغريب

ثم بتعادل وتخفيف المواد السامة القابلة للذوبان . وتعقب ذلك عملية الهضم التي تقوم بهـا الخلايا الأكولة المتحركة التي تقطن اللب الأحمر »

وتتحفز تلك الخلايا للقيام بعمل سريع ؛ فتتجمع حول البويضات النازحة فى صفوف متراصة مكونة بذلك خطوط الدفاع التي تعقبها على عجل عملية الحمائر لتوقف فعل المواد الغريبة السامة التي تفرزها البويضات فى تلك الدائرة الضيقة . ثم تهجم الخلايا الأكولة على غلاف البويضات فتذيبه إلى مادتها فتلتهمهـا وإلى ما تخلف بعد ذلك فتبتلعه فتقى الجسم شر تلك السموم »

فاذا تمت هذه العملية التصقت كل خلية بجارتها مكونة سدا منيعا يحول دون تسرب أية مادة سامة إلى النسيج السليم ثم تبتدىء (الخلايا) فى توالدها وتكاثرها فتتحول إلى خلايا ذات نواة كثيرة Siant Bell . وهكذا يكبر الطحال تبعا لتوالد الخلايا وتكاثرها أثناء صراعها مع ديدان البلهارسيا وبويضاتها »

مرض متوطن

وأيد الطبيب فى إثبات رأيه ما رآه من انتشار قواقع البلهارسيا فى الوجه البحرى، فإن انخفاض ذلك الإقليم ورداءة طرق الصرف فيه جعلته موطن المياه الراكدة وبالتالى معمل تفريخ الميكروبات والديدان وأهمها البلهارسيا والإنكلستوما .

« ويعتبر مرض تضخم الطحال متوطناً فى كل بقاع مصر، وينتشر بكثرة كما تشتد عوارضه وتكثر مضاعفاته بالمناطق المنخفضة فى شمال الدلتا حيث تكثر المصارف والترع ويكثر تبعاً لها توالد القواقع طول فصـول الســنة بخلاف ما نشاهده فى الوجه القبلى حيث رى الحياض ما زال باقياً فتقل بذلك نسبة العدوى قليلا . وبالرغم من وفرة وجود القواقع أثناء الفيضان فإنها لا تلبث أن تموت متى جفت الأرض وانخفض مستوى الماء »

وتظهر الأعراض المبدئية للمرض عقب العدوى بالسركاريا وتظهر مصحوبة بتوعك المزاج وباضطرابات فى الجهاز البولى والجهاز المعوى وتظهر البويضات فى البول والبراز ويصل تضخم الطحال فى هذا الدور إلى أسفل الضلوع بنحو قيراطين . وينشأ نتيجة تفاعلات بلب الطحال أحدثتها إصابته حديثاً ببويضات البلهارسيا

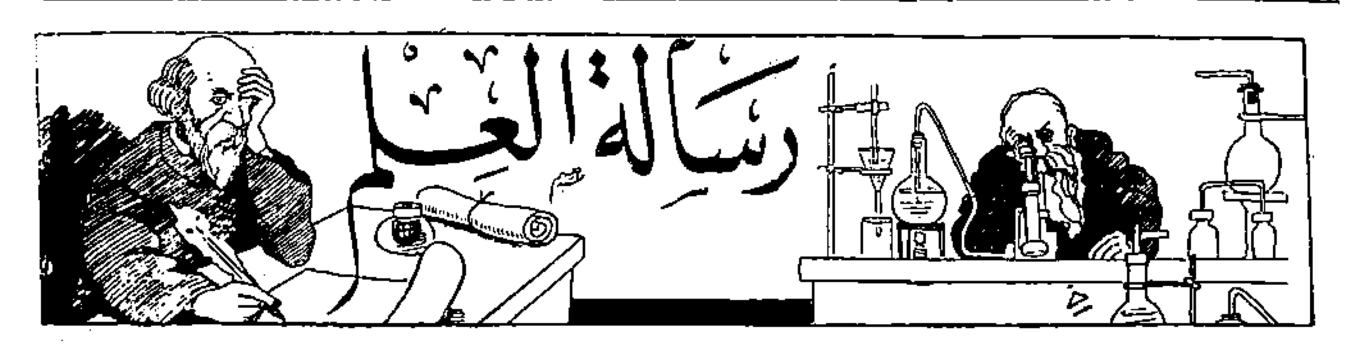
فإذا كانت البويضات قليلة وأتيح للمريض فرصة العلاج تمكن نسيج الطحال الزاخر بخلاياه الأكولة من هضمها وإزالتها فتزول عوارض المرض . أما إذا استمر تعرض الإنسان للعدوى فإن الطحال يتضخم بتكاثر خلاياه بجميع أنواعها حتى تصل إلى سرة البطن ، أو يمتد إلى حافة الحوض ، ويستمر على هذه الزيادة حتى تتاح للمريض فرصة العلاج أو ينتقل إلى مكان لا توجد به قواقع . فيضمر الطحال ويصاب بتليف عام ، وتضخم فى محفظته وعوارضه ، وتتحول الألياف المرنة إلى نسيج ضام ، ولـكن الخلايا السليمة منه تستمر على أداء عملها بالدفاع عن الجسم من غزو الأمراض والحميات وغيرها



طحال مصري متضخم وزنه ٤ كيلو جرام وطوله ٣٨ سم وعرضه ١٨ سم أى أنه أضخم من أى طفل

ويحافظ الطحال على هذا الحجم رغم انتهاء دور الإصابة ، وخلو البول والبراز من بويضات البلهارسيا ، وفى هـذه الحالة يلقب بالطحال المتوطن ، ومن هذا يتبين أن تضخم الطحال يمكن أن يزول فى حالات المرض الأولى . أما إذا أزمن وطالت مدته ونشأ التليف بين أنسجته وخلاياه فإن تضخمه يلازم المريض ، وقد ينقص حجمه قليلا بالعلاج أو بالانتقال من مراكز العدوى ولـكنه لا يعود إلى حجمه الطبيعي

فوزى حبيد الشترى



أهمية نظرية التطور

نظرية التطـــور

وقصة الخليقة

للأستاذ عصام الدين حفني ناصف

كان الناس فيما مضى يجهلون معظم القوانين الطبيعية التي تسود الكون وتحكمه ، فكان المفكرون منهم يتساءلون : لم هذا اللباس من الشعر غير الكثيف يغطي جسمنا ؟ لم يشبه القط النمر ؟ لم كان الزنجي أسود اللون والصيني أصفره ؟ لم كان الأوربي متحضراً والإفريقي غير متحضر ؟ لم كان عدد صنوف الحيوانات عديداً بهذا القدر ؟ لم نعثر في أعماق الأرض على عظام أسماك متحجرة ؟ ولم يكن هناك من يستطيع الإجابة على هذه الأسئلة وأمثالها ، وذلك لأن فكرة واحدة لم تكن قد نفذت إلى رؤوسهم ، وهي : أن الأرض قد نمت هي وما عليها في مدى مئات الملايين من السنين حتى بلغت ما تبلغه الآن ، وقد وصلت الكائنات إلى أشكالها الحالية ببطء شديد وبالتدريج ، ومرت خلال ذاك على أشكال عديدة سابقة لهذه ، فهي قد «تطورت»

تقول نظرية التطور : إن جميع الكائنات الحية الباقية والمنقرضة قد تطورت إلى أشكالها الأخيرة من أصل واحد أو بضعة أصول ، فهي إذن يتصل كل منها بالآخر برباط القرابة

وقد كثرت الأدلة العلمية على صحة هذه النظرية حتى «انتقلت» كما يقول أوسبورن «من نطاق الفروض والنظريات إلى نطاق القوانين الطبيعية» ولذلك فإن «خصومها» كما يقول بلاته «مضطرون إلى مكافحتها ببراهين وحجج من غير التاريخ الطبيعي»

وليست أهمية هذه النظرية بقاصرة على كونها ضرباً من العلم والفلسفة فقد أثرت تأثيراً كبيراً على علوم مختلفة كعلم الحفريات والتشريح المقارن والأجنة والاستيطان ووظائف الأعضاء وعلم الأمراض وتاريخ الإنسان والاجتماع والنفس والفلسفة .

وللنظرية عدا ما تقدم أهمية بالغة من الناحية العملية ، ذلك أنه إذا كان التطور إلى أرقى ليس هو المصير المحتوم دائماً بل يشترط لحدوثه ظروف وشروط خاصة ، فما يستحق الجهد ولا شك أن يفكر المرء ويعمل على توفير هذه الظروف والشروط ، وبذلك لا يكون الإنسان سلبياً يحمله تيار الحوادث إلى حيث يساق، بل يكون سائراً بمشيئته في طريق الرقي وهو يعلم أين يسير. وهذا يجعل من السهل علينا أن نجيب على السؤال الذي كانوا يلقونه قديماً عن معنى الحياة والغرض منها، فليس الغرض منها إلا السير بالبشرية في سبيل الرقي وتوفير أسباب البهجة والتمتع لكل فرد منها

وقد طبّق سبنسر نظرية التطور على الشئون الاجتماعية ، وشرح رأيه في نشوء الضمير الخلقي عند الانسان بما يتلخص فيما يأتي : كان الناس في أول أمرهم يرون أن الحسن هو المفيد إفادة عاجلة ، ثم أظهرت التجارب أن هنالك أحياناً فائدة كبيرة آجلة تفضُل الفائدة الصغيرة العاجلة . وقد اختُزنت هذه التجارب في مشاعر أسلافنا وذلك ما أحدث أثره في مجموعهم العصبي ، وتوارثنا نحن عنهم هذه التأثيرات، فترانا نعتبر بعض التصرفات حسناً دون أن نجربه ونتثبت بأنفسنا من نفعه ، وإنما أسلافنا هم الذين جربوا ذلك لهم ولنا من بعدهم ، وهذه الحكمة الموروثة هي ما نسميه بالضمير ، وبه نجد من دخيلة نفوسنا ما يرشدنا إلى الخير والشر . وعلى ذلك فإن حياة الفرد ونصيبه الذي قسم له في الحياة لا يبدوان عند ولادته، بل هما يرجعان إلى الماضي الذي لا نستطيع تقدير توغله في القدم

نشوء الكون

كانت هنالك مادة أولى تملأ الوجود ، ومن هـذه المادة نشأت السدم ، وهي سُحب من ذرات معدنية صلبة مختلفة

الحجم والمعدن ، ثم تطورت السدم بعد ذلك فأخذت الذرات الصغيرة فيها أو القليلة الكثافة تنجذب إلى الكبيرة أو الأكثر تركزاً ، إلى أن تكونت كرات كبيرة يفصل بين كل منها والأخرى حيز فارغ واسع المدى . واتجهت الذرات الأكثر ثقلاً فى كل كرة نحو مركزها ، وولّد ضغط الذرات فى هذه الكتل التى يزن كل منها تريليونات الأطنان ، حرارة هائلة جعلها تتقد وتتحول إلى كوكب. أما الذرات الخفيفة أى الغازات، فقد بقيت فى الحافة مكونة جواً غازياً حول الكوكب . وقد حدثنا الفلكيون أن الكون الذى نعيش فيه يحوى نحو ٢٬٠٠٠٬٠٠٠٬٠٠٠ من الشموس التى تشبه شمسنا ، والكثير منها كواكب مثل كوكبنا الأرضى ، من الجائز أن تكون مأهولة بكائنات حية ، فليس ثمة ما يدعو إلى افتراض أن الأرض أنشئت على نمط خاص

أخذت الكواكب تفقد حرارتها شيئاً فشيئاً ، وكان أسرعها فى ذلك أصغرها حجماً ، وبردت الأرض بالتدريج واتحد ما يكتنفها من أوكسجين وأيدروجين فتكون منهما الماء العذب، ثم اكتسب الماء ملوحته من إذابته لبعض أملاح الأرض وبعض أحماض أنزلها معه من الجو . واستمرت الأرض تبرد وتكونت القشرة الأرضية فى النهاية ويبلغ سمكها فى الوقت الحالى ٨٠ إلى ١٠٠ كيلو متر ، وقد كانت فى أول أمرها متشابهة السُّمك ، وكان المحيط المائى موزعاً حولها بتساو ، ولكن برود القشرة الأرضية أدّى إلى تقلصها ، فارتفعت سلاسل الجبال ونشأت تبعاً لذلك الوديان والمنخفضات ، ثم استقر الماء فى المنخفضات وبدأ الانقسام إلى أرض « يابسة » ومياه

نشوء الحياة والأحياء

نشأت الحياة بعد ذلك على وجه الأرض فى زمن مضى عليه — فى رأى بعض الجيولوجيين — ٥٠ إلى ١٠٠ مليون سنة ، وكانت الأحوال الطبيعية تختلف عما هى عليه الآن، فمياه المحيطات مرتفعة الحرارة ، والعناصر المشعة عظيمة النشاط، والمركبات الكيميائية ليست كلها على النمط الذى نعرفه ، فدبت الحياة فى المادة الحية الأولى (بروتو بلازم) ، ثم نشأت منها الوحدات المحدودة التى نسميها خلايا

لم تكن الكائنات الحية الأولى نباتات صرفة ولا حيوانات خالصة ، ولكن البعض منها أصبح نباتاً لاقتصاره على التغذى بالمواد غير العضوية التى فى الأرض ، وجرى البعض الآخر على افتراس ما يجاوره من الأحياء ، وذلك منشأ تكون الحيوان ، وقد اقتضت عملية الافتراس أن يتزود الحيوان بأعضاء خاصة بالحركة والحس وبفم ومعدة وأسلحة ودروع فنشأت عنده هذه الأعضاء . ثم نشأت الحيوانات والنباتات العديدة والخلايا بعدم انفصال الخلايا الناتجة من انقسام خلية واحدة

ولما غاضت معظم المياه الضحلة وانسابت الأنهار السريعة الجريان هلكت الحيوانات التى لم تستطع التخلص من بطء حركتها، وتطورت أعضاء الحركة فى الحيوانات الباقية فظهر السمك كالقارب الطويل مجهزاً بزعانف قوية ثم تكونت فيه السلسلة الفقرية . واكتظت الأنهار الضيقة السريعة الجريان بالأحياء فقام بينها الكفاح من أجل الأوكسيجين والغذاء فذهب البعض إلى البحار العميقة وبدأ البعض سباقه صوب البر ونباتاته يقتات بما فيها من حشرات ثم يعود إلى الماء وأخذت المثانة الهوائية تتطور إلى رئتين والزعانف تتطور إلى أطراف ، ونشأت الأمفيبيا كالسمندر والضفدع وهى الحيوانات التى تقطن الماء فى صغرها ثم تنتقل فى كبرها إلى حياة البر

واستمرت المياه فى بعض الجهات تغيض شيئاً فشيئاً وأخذت الحيوانات الأمفيبيّة فى تلك الجهات تتحول تبعاً لذلك إلى حيوانات برية ففقدت خياشيمها وقويت أرجلها ونشأت منها الزواحف كالورل والتمساح والثعبان

العصر الجليدى

وانقضى الصيف الدائم من على وجه الأرض وكسا الجليد نحو ٤ ملايين ميل مربع من سطحها، تمتد من الهند إلى أوستراليا وإلى أفريقيا . وقضت هذه الذبحة الهائلة على نحو ٩٧ فى المائة من الأنواع النباتية والحيوانية فتحولت النباتات إلى طبقات من الفحم ولم يبق من الحيوانات إلا نماذج قليلة فى الأقاليم الحارة هى التى نسلت ما احتواه العصر الحديث من الأمفيبيا والحشرات وغيرها . فلما ذابت طبقة الجليد بعد ربع مليون سنة بسبب انخفاض سطح الأرض فى الجنوب عادت الزواحف إلى الانتشار ، وكانت أوربا فى ذلك الوقت غاطسة تحت الماء لا يطفو منها سوى قنن الجبال وأجزاء قليلة أخرى تبدو كمجموعة من الجزائر محاطة بحواجز من المرجان ما تزال آثارها تشاهد إلى الآن فوق الجبال . وكانت هناك قارة ملأى بالبطاح والغياض ممتدة من أسكوتلاندة إلى أمريكا (تسمى فى عالم القصص بالاطلانطيس) فساعدت على انتقال الزواحف الجبارة بين القارتين

كانت إناث الحيوانات قبل العصر الجليدى تضع البيض وتتركه على سطح الأرض أو المـاء فينقف من تلقاء نفسه بتأثير الحرارة، وبذلك كانت الطبيعة تتولى عمل الأم . فلما حلت البرودة أصبح الرقاد على البيض وتعهد الصغار بالعناية أمراً لا غنى عنه .

ونشأ للزواحف رداء حرشفى رفيع، وأصبح جلد الأمفيبيا لزجاً كما نشاهد الآن فى الضفادع ، ونشأت الطيور والثدييات مزودة بقلب ذى أربع غرف يساعد فى إمداد الدم بقدر وافر من الأوكسيجين ليحرق وقوده فيحتفظ الحيوان بالدفء ولا تنحط حرارته مع حرارة الجو كما هى الحال فى ذوات الدم البارد وهى الأسماك والأمفيبيا والزواحف . وساعد الدم النقى فى الطيور والثدييات على زيادة حجم المخ وارتقائه وتمت لها السيادة فى العصر الجديد . أما الزواحف الضخمة الدرعة بدروع ثقيـلة فقد قضى عليها عند ما حل البرد الشديد بعد ذلك فى نصف الكرة الشمالى لزوال الحرارة التى كانت تجعل بعضها ينقف دون أن ترقد هى عليه

وكان للعصر الجليدى أثره العظيم فى عالم النبات أيضاً فقد انتزع سيادة النباتات الجرثومية المنحطة على المملكة النباتية ، وأفسح مجال الانتشار والازدهار أمام النباتات المخروطية والنباتات المزدهرة ، ولما حل الشتاء فى نصف الكرة الشمالى أخلت معظم الأشجار الدائمة الاخضرار مكانها لنماذج تسقط أوراقها فى الشتاء بصفة دورية فلا تفقد ما تحتويه من الماء وهى لا تستطيع تعويضه من الأرض فى الشتاء

تطور الطيور والثدييات

تسلسلت الطيور من الزواحف بفضل ما حدث لها من التغايرات الملائمة ولاسيا فيما يختص بجهاز توليد الحرارة . وقد عثروا فى صخور بافاريا على متحجر طائر فى حجم الغراب كان يقطن أوربا قبل ملايين السنين ، وهو يجمع بين خصائص الزواحف وخصائص الطير ، وهذا «الطائر القديم» هو الحلقة «غيرالمفقودة» بين الزواحف والطيور

وحل عصر جليدى فى شمال أوربا وأمريكا غطى نحو ٧ ملايين ميل من سطحهما، فأرغمت الحيوانات والنباتات المحبة للحرارة على الزحف صوب الجنوب . وقد يكون البرد القارس فى ذلك العصر هو منشأ هجرة الطيور المهاجرة كالسمان والعنز وعصفور الجنة كل شتاء من الشمال إلى الجنوب ، كل عائلة منها إلى مكان معين تسلك إليه طريقاً ربمـا كانت هى الطريق الوحيدة التى عرفها أسلافها فى ذلك الوقت ، وعلى ذلك فليست « الغريزة » سوى العادات التى اكتسبتها الحيوانات تحت ضغط ظروف خارجية عنها

نشأت الثدييات الأولى الصغيرة الحجم فى أواخر العصر الجليدى ، وقد يكون منشأها فى قارة تمتد حيث يوجد الآن المحيط الهندى وما حواليه ، أو لعلها عبرت تلك القارة الضائعة من أفريقيا إلى أوستراليا ، ثم غاصت تلك القارة تحت سطح المـاء فأصبحت أوستراليا جزيرة منعزلة لا تستطيع أن تصل إليها الحيوانات المفترسة التى تطورت فى باقى أنحاء العالم، وبقيت الحيوانات الثدية البدائية فيها متخلفة عن زميلاتها فى الخارج مثل الكنجرو ، وهو لا يبقى جنيناً فى رحم أمه إلا زمناً قليلاً فإنها ليس لها من الأوعية الدموية ما تنقل به دمها إلى الجنين لتغذيته، لذلك تلده سريعاً وتلتقطه بفمها فتضعه فى كيسها حيث يكون ثديها المنخفض فى متناول فمه

بقيت الحيوانات الثدية فى أوستراليا على ما هى عليه تقريباً ولكنها فى أفريقيا صعدت درج الرقى وانتشرت انتشاراً عظيما متجهة فى انتشارها صوب الشمال . فلما كثر عددها ساد بينها كفاح هائل من أجل الحياة وأخذت ذراريها تتطور فى شتى الاتجاهات ، فمنها ما أكل اللحم ومنها ما عمد إلى الهرب من الحيوانات المفترسة فاتخذ له ملجأ تحت سطح الأرض كالخلد والأرنب ، ومنها ما أخذت أشواكه تنمو وتصلب كالقنفذ، ومنها ما بقى يعيش فوق الأشجار كالسنجاب، ومنها ما هبط إلى البحر كالحوت، ومنها ما اتخذ الليل معاشاً كالخفاش. وانتشرت فصيلة الحيوانات الحافرية فى القارات الأربع مستعينة بقوتها وضخامتها أو بدروعها وأنيابها وقرونها أو بسرعة عدوها وحدة حاسة الشم عندها

تطور الإنسان

تسلسل الإنسان من ذرية حيوان شبيه بالقرد ، ولكن ليس من ذرية أحد القردة الموجودة فى العصر الحاضر ، وإنمـا تتصل القردة الحالية بالإنسان فى أسلاف مشتركة وجدت من ٣ أو ٤ ملايين من السنين

أخذت الحيوانات الثدية البدائية ترتقى وتتطور فى اتجـاه القردة ، وانتشرت القردة فى القارات الأربع (أى فى مختلف أنحاء الأرض باستثناء أستراليا) ؛ وذلك من نحو ١٠ ملايين من السنين ، ثم تطور قسم منها إلى القردة الشبيهة بالإنسان ،

وهى أربعة فروع هبط ثلاثة منها إلى الأرض عندما بادت الغابات فى بقعة من آسيا بسبب ارتفاع الأرض وجفاف الهواء على الأرجح . ومن المقرر أن ترك الأشجار والإقامة على ظهر الأرض مما يساعد كثيراً على الترقى والتقدم ؛ فإن هذه المعيشة تقتضى الملاحظة الدائمة لاتقاء الأعداء واقتناص الغذاء ، وقد أصبحت الساقان الخلفيتان تقومان أكثر فأكثر بحمل الجسم ، وأصبحت اليدان تستعملان فى إمساك الأشياء ، وأثرت كل هذه التطورات على نمو المخ مدة ٤ ملايين سنة

وقد عثروا فى انجلترا على جمجمة يرجع عصرها إلى ٤٠٠٫٠٠٠ سنة . كما يدل على ذلك عمر الطبقة الأرضية التى وجدت مطمورة فيها، وقد قدر الثقات أنها جمجمة إنسان منحط جداً من حيث الذكاء

وقد استطاع العلماء بما عثروا عليه من الهيا كل البشرية التى ترجع إلى عهد قديم جداً والأدوات الحجرية المتدرجة الرقى التى وجدوها إلى جوار تلك الهيا كل — أن يكتبوا قصة الإنسان. وتتلخص فى أن فرعا من متسلقات الأشجار بارح الأشجار وهبط إلى الأرض فارتقى فيها وأصبح يتخذ العصا سلاحا، ثم ارتقى وبدأ فيه العنصر الإنسانى حين بدأ يقرع صوانة بأخرى ليكسب إحداها سناً حاداً مشحوذاً

كان الإنسان فى أقدم عهوده يعيش فى جو دافئ بغير نار وملبس ومنزل ، ثم حلت خمسة عصور جليدية تتخللها فترات دافئة ، واضطر سكان أوربة قبل التاريخ فى المرة الرابعة إلى سكنى الكهوف ، ثم شرعوا يرتدون الجلود وتعلموا أن يشعلوا النار بالصوان . وعندما انقضى ذلك العصر الجليدى كانت قد ظهرت فى أوربا بشرية من طراز جديد ، فبدأ التطور الاجتماعى واضطرت الأسر إلى المعيشة معا ، وسرت فى الكهوف لغة غير ناضجة .

وعادت طبقة الجليد تكسو أوربا فعبر القوم الجسور الأرضية إلى شمال إفريقيا وآسيا الصغرى ، وكان السكان أكثف ما يكونون بين الخليج الفارسى ومصر ، وكانت وديان النيل والدجلة والفرات قد تكونت حديثاً بفضل هذه الأنهار ، واحتدم الكفاح بين القبائل والعشائر من أجل هذه الوديان وطلعت من هذا الكفاح أولى المدنيات .

عصام الدين حفنى ناصف



الفن الأسكنـــدرى

للدكتور أحمد موسى

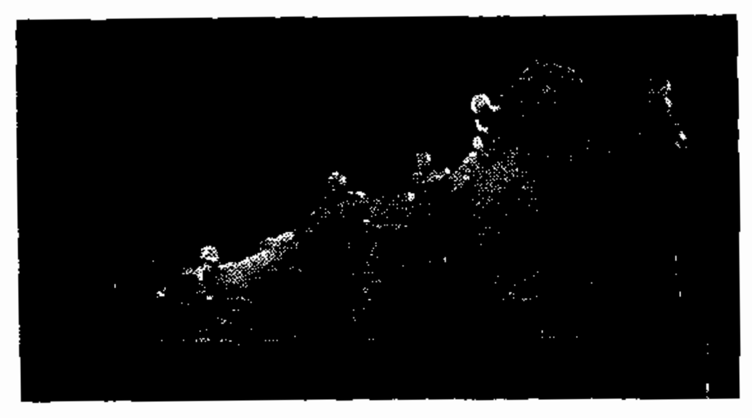
لا نقصد بعنوان المقال تحديد الفن بعصر الإسكندر كما لا نقصد تحديده بمدينة الإسكندرية وحدها، وإنما المقصود بالفن الإسكندرى أنه الإنتاج الفنى فى البلاد المصرية منذ تأسيس الإسكندرية سنة ٣٣٢ ق . م إلى نهاية حكم البطالسة ، ذلك الفن الذى عُرف أمره وتأثر به فن العالم القديم

وبالنظر إلى قلة ما تبقى من هذا الإنتاج وإلى ضآلة المواد العلمية التى يمكن الاستناد إليها ، وإلى ما بين أيدينا من الآثار البطليموسية فإن تاريخ الفن الإسكندرى بمعناه الشامل من الموضوعات العسيرة التى تجعل البحث ناقصاً قابلاً للنقض فى بعض نواحيه ؛ إذا ماظهر من نتائج الحفر وما قد يعثر عليه من النصوص ما يميط اللثام عن بيانات واستنتاجات تغير ما تقرر حتى الآن

على أنه يمكن القول بأن ما بقى من التماثيل وبعض الآثار يعطى ما يفيد فى هذا المجال ، ويمهد السبيل إلى معرفة المدى الذى وصل إليه أثر الفن الإسكندرى فى الفن الإغريقى أو الهيلينى

وممـا لا يقبل الشك أن مدينة الإسكندرية كعاصمة للبلاد أنشئت وشيدت على نمط رائع من حيث التخطيط العام للمدينة ومن حيث تنظيم شوارعها ومبانيها التى عملت لأول مرة فى هذا القطر من الطوب بطريقة هندسية جديدة فى نسقها جميلة فى مظهرها ، ولاسيما أن حوائط المبانى كانت مغطاة من الداخل بلوحات من المرمر زخرفت بنقوش من المعدن . وهذا كله نتيجة للرغبة فى التمدين والعطش نحو الأبهة

وكان شغف الأمراء من أبناء البطالسة وتقديس الناس للآلهة خير دافع إلى إقامة المعابد الهائلة بحوائطها المزخرفة بالنقوش والكتابات ، كما كان سبباً فى إحياء فن النحت والتصوير ، إلى حد أن كانت بعض التماثيل تعمل من الذهب والعاج فى غاية من الدقة والجمال .



تمثال النيـــل

وبطبيعة جو الإسكندرية الأقرب إلى الجو الأوربى والخليط الذى كان يعيش فى تلك المدينة من البطالسة والمصريين وغيرهما ، كذلك وجود الفلاسفة المشتغلين ضمنا بالطب والجراحة فضلاً عما بثوه فى العقول بتعاليمهم التى تحض على النظر والدرس والتأمل إلى جانب مجموعة الكتب العظيمة بالمكتبة الخالدة — فى هذا المحيط وهذه البيئة نشأ الفنان الإسكندرى محاطاً بما يوقظ فيه روح العمل والابتكار

ولعل خير مثل لذلك بقايا التماثيل ومنها رأس من البرونز يمثل امرأة مصرية تجلت على ملامحها مصريتها وحيويتها[١] .

وكان للانتاج الفنى غير العمارة والزخرفة والنحت الواقعى Realistic Sculpture اتجاهاً مثلياً رائعاً نراه فى تمثال « النيل »

(١) راجع Von Sybel, Weltgeschichte der Kunst: وأيضا Rayet, Monuments de l'art antique II. Paris 1883.

المحفوظ بالفاتيكان فى روما ، والذى وصل منه أنموذج إلى هذه البلاد منذ أعوام . فإذا نظرت إلى صورته رأيت إلى أى مدى استطاع الفنان الوصول إلى ذروة الفن المعاصر لتلك الأيام ، فإلى جانبه تتضاءل التماثيل التى عملت للأسراء ولهوميروس ، والتى لا يمكن أن توصف إلا بكونها من أحسن ما أخرجه الفنانون

أنظر إلى صورة الإله « النيـل » ولاحظ ما بدا على وجهه من عوامل التأمل والتفكير فى مصير أولاده الستة عشرة « فروع النيل الكبرى والصغرى» وشاهد كيف يتكىء بكتفه على (أبى الهول) الرابض بجانبه ، وقد اختار الفنان «لأولاد النيل » أوضاعاً شتى فظهر كل منهم مخالفاً لغيره ، وفى هذا ما فيه من الغنى الفنى

كذلك اتجه التصوير اتجاهاً جديداً تخرج من تمثيله لصور الأمراء والعظماء إلى تمثيل الحياة العامة والعادات الاجتماعية فرسمت على الحوائط مناظر صادقة فى التعبير عن العصر الذى عملت فيه ؛ وغير ذلك للمناظر الطبيعية كتلك التى صورت لنا أجزاء من المدينة محاطة بالغابات ذات الأشجار العالية ، والتى نصبت بينها تماثيل بأوضاع دلت على حسن التنسيق والوصول إلى درجة فائقة فى فن تخطيط المدن وهندستها ، وهذا الوضع يذكرنا بالحالة التى كان الفن البومبيانى (نسبة إلى بومبى) يسير عليها

على أن الفن الاسكندرى ، أو إن شئت فقل الفن المصرى فى عهد البطالسة ، كان قصير العمر بالقياس إلى الفن المصرى فى عصور أخرى أو إلى الفنون الأجنبية ، فعند ما وصل الفن البرجامونى والفن فى رودس إلى أوج عظمتهما حوالى منتصف القرن الثانى قبل المسيح ، كان الفن الإسكندرى سائراً نحو الهبوط ؛ فانتقل إلى إيطاليا . وخير برهان على ذلك أنه فى أوائل القرن الثانى قبل الميلاد شيدت فى بمبى عمائر على نمط لا يختلف فى الجوهر والمجموع الإنشائى عن ذلك الذى بنى للمرة الأولى فى الأسكندرية ، حتى الزخارف التى عملت على حوائط هـذه العمائر فإنها شملت ذلك الطابع الإسكندرى المميز ، والذى يقرر تأثرها بها أفصح تقرير

هذا فضلاً عن أن العارف بتاريخ الفن الدارس لأصوله يذكر جيداً أن المشيدات التى أنشئت فى منتصف القرن الأول قبل الميلاد ، سواء أكان ذلك فى منطقة كبانيا أم فى روما ، وسواء فيما يتجلى على البناء المقدس للآلهة « بانتيون أجريبا[1] » Pantheon of Agrippa أو بناء مسرح بومبيوس[2] Theatre of Pompeyus أو قصر نيرو الذهبى Nero Golden Palace كلها تدل على أنه لا مفر من الاعتراف بوجود أثر الفن الاسكندرى فيها .

ظهرت بعد هذه المرحلة صور رائعة هى تلك التى رسمت على أغطية توابيت الموتى ، والتى قصد بها الاستعاضة عن الأقنعة الذهبية التى كان المصريون الأقدمون يعملونها على الأغطية لتمثيل وجه الميت .

وكان ظهور هذه الصـور تدريجياً ونادراً ومرتبطاً بنتائج الحفريات التى عملت

(١) راجع Huelsen, in Mitteilungen des Archaeologischen Institutes 1893.

(٢) مبنى أثرى فى روما (يعرف الآن بكنيسة سانتا ماريا روتوندا) أكمل أجريبا بناءه سنة ٢٧ ق.م ، وقد دفن فيه رفائيل وأنيبال كراتشى وفيكتور إعانويل الثانى ، وقد ثبت أن هذا المبنى لايتصل بحمامات أجريبا كما كان مظنونا قبلا .

فى الفيوم[1] منذ سنة ١٨٨٨ ولـكنه على جانب من الـكثرة التى تسمح بالدرس والتأريخ .

وقد اخترنا ثلاثاً منها تعطى فكرة صحيحة عن قوة التصوير ودرجة إتقانه ، فبالنظر إليها نلاحظ جمال الملامح وحسن التعبير ونبل الإخراج ، إلى جانب ما يبدو على الوجه ويشع من العينين من تأثر نفسانى عجيب .

وكان تصويرها بالألوان على خشب الجميز أو اللبخ على ما نظن وكذلك على قماش التيل — وكانت توضع على التابوت أو تثبت فى غطائه مكان الرأس



وكانت الألوان معدنية مخلوطة بالشمع أو بصفار البيض أو بالغراء وأحياناً بهما معاً ، يرسم بها (ماعدا ما كانت بالشمع) على سطح مدهون بالجبس أو الطباشير .

ويتضح من الـكتابات التى نقشت على لوحات صغيرة ووضعت مع التوابيت أو فى داخلها أو التى كتبت على بطاقات صغيرة من الخشب وثبتت إلى جانب العنق Mumies-eticette أن أصحاب هذه الصور كانوا من الأغريق ، وبالرغم من هذا فإنه لا يمكننا الارتكان إلى ذلك لمجرد علمنا بأنه حتى ولو كان الأغريق قد تعودوا عادات المصريين فى طريقة التحنيط والدفن الخ ، فى القرن الثانى قبل الميلاد ، فإنه يبعد كثيراً أن يكون أصحاب هذه الصور من الأغريق لاختلاف ملامحهم ولون شعرهم وتجعده ولون العيون فضلاً عن المجموع التكوينى للرأس . وقد تكون هـذه الصور بالرغم مما كتب عليها غير معاصرة للبطالـة .

ومهما يكن من شىء فإن عصر الفن الإسكندرى مع قصره كان شاملاً لمدينـة الأسكندريه بمكتبتها ومنارتهـا ، وشاملاً لآيات من الفن لم يبق منهـا إلا القليل الذى مع قلتـه دل دلالة صريحه على أن الفن المصرى فى تلك المرحلة ، وإن كان قد سار فى اتجاه يلائم العصر الذى وجد فيه ؛ إلا أنه أثر فى غيره أكثر مما تأثر هو بالغير .

احمد موسى

---

(١) كانت الفيوم فى التاريخ المصرى القديم أرضا غير زراعية ، عمل الفراعنة منذ الأسرة الثانية عشرة (٢٠٠٠ — ١٧٨٨ ق . م) على تخصيبها وتعميرها وذلك بمد القنوات النيلية إليها وبناء مساكن لاتؤثر فيها مياه تلك القنوات . ولقد وجدت قناة نيلية طبيعية على بعد ٢٢٠ كيلو مترا جنوب بنى سويف كانت مياهها تنصرف فى الصحراء الغربية فعمل المصريون على تحويل مجراها ومدوه حتى وصل إلى الفيوم بالقناة الحالية المسماة بحر يوسف ، ولا تزال بعض آثار الســدود التى أقاموها بقصــد حجز المياه ورفعها للتمكن من رى الأراضى المرتفعة نسبيا ، موجودة للآن ، وبهذا أمكن تحويل مجرى المياه إلى الفيوم وتصرفها فى أرضها فنشأت من ذلك الخصوبة التدريجية .

وكانت نتيجة وصول المياه إلى تلك المنطقة أن تجمع الزائد على الحاجة منها فى جزء منخفض فتكونت بحيرة موريس كما سماها الأغريق (بالمصرى القديم M-weret) . وأمكن باستخدام السدود والخزانات رى الفيوم وما يجاورها ، ونشأ عن ذلك تكوين بحيرة قارون الحالية . وقد سمى أقباط مصر هذه البحيرة « فيوم » Pheom ، وهكذا ظل الاسم حتى الآن

وعلى الساحل الشرقى لبحيرة موريس وجد قصر لابيرنت Labyrinth كما وجد أهرام أمنمحت الثالث (٢٣٠٠ ق . م) وبالقرب منه كانت العاصمة التى سميت فى عصر الأغريق كروكو ديلوبوليس نسبة إلى التمساح وبعدها سميت أرسينو Arsinoe . وقد عثر المنقبون فى القرن التاسع عشر على كثير من المخطوطات القيمة فى تلك الأماكن .

ومدينة الفيوم الحالية تقع فى شمال هذه المنطقة ، حيث يوجد جامع باعمدة أثرية قديمة .

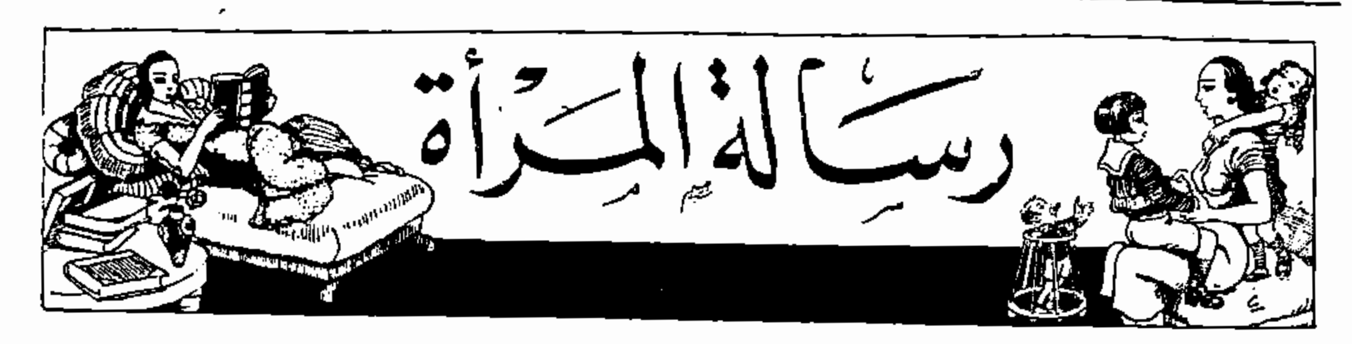
ويمكن للتوسع فى هذا الشأن وفى أغطية الموميات المصرية فى عصر البطالـة مراجعة :

(1) The Fayum and Lake Moeris, London 1892

(2) Grenfel and Hunt, Fayum towns and their papiri. London 1900

أما لابيرنث فهى تلك المبانى التى أقيمت على سطح الأرض وفى باطنها، وكما ذكر هيرودوت (٢ — ١٤٨) وسترابو (١٧ — ٨١١) كان مجموع الغرف ثلاثة آلاف كلها من الحجر ، وإذا اجتمعت كل معابد الأغريق فى مساحة واحدة تتضاءل أمام مساحة هذه المبانى ، كما قررا أنها كانت أجل من الأهرام وظلت قائمة حتى خربها الرومان فلم يبق منها إلا الأحجار التى أزيلت بمرور القرون والأعوام وأقيمت مكانها المقابر ، وقد أجرى السير فلندرز بترى العالم الأثرى المعروف أعمال الحفر وعثر على مجموعة رائعة من الصور وغيرها .

راجع : Edwards, Pharaohs, Fellahs. p. 95



المرأة اليونانية القديمة والتعليم العالي

للآنسة زينب الحكيم

التاريخ سجل يطوى فيه أسرار الأجيال . قلبت بين صفحاته عن بعض حالات المرأة اليونانية الغابرة ، فوجدت كل معجب مدهش ...

وفى الحق ليس من المستغرب أبداً أن وجدت سيدات من الدرجة الأولى فى المواهب العقلية بين ناس استازوا بالثقافة العالية كاليونانيين

وسافو Sapho الشاعرة اليونانية مثال من الأمثلة الخالدة لهؤلاء السيدات . لقد كانت ذات سطوة قوية على بنات جيلها ، وظهر نتاج مجهوداتها الموفقة بين تلميذاتها الكثيرات، واشتركت السيدات رغبة فى درس الشعر ونظمه . وشجعهن على الاستزادة من ذلك مناصرة عدد كبير لهن من مشاهير الرجال النيورين على ترقية المرأة ، فاستحسنوا أن تتعلم تعليماً عالياً وساعدوها على المطالبة بذلك بكل ما أوتوا من قوة

من هذا نرى أنه منذ العصور المبكرة نودى بتعليم المرأة وبالمساواة بينها وبين الرجل فى اليونان

فنى القرن السابع قبل الميلاد ، تشبث كليوبليس Cleobulus — وكان أحد حكماء اليونان السبعة — بأن ينال النساء التمرين العقلى الذى يناله ارجال ، وأوضح مبدأه بتعليم ابنتــه كليوبلين Cleobuline التى صارت شاعرة ذات شهرة واسعة فيا بعد

ويثجوراس Pythagoras الذى احتفل بإعلان مذهبــه الفلسفى فى القرن السادس بجنوب إيطاليا ، أشار بوضوح إلى ضرورة المساواة بين الجنسين ، واخترع خطة لتعليم النساء ، كان من شأنها أن جعلتهن منتجات فيما يتصل بتدبير المنزل ، كما جعلتهن ممتازات فى الثقافة الفلسفية والأدبية

وأشار أفلاطون بضرورة تعليم المرأة على قدم المساواة مع الرجل ، وسمح بقبول النساء لسماع المحاضرات الجامعية

وفى أيام الاسكندر شجع تحرير المرأة بشكل قوى ، ومن ذلك الحين نرى أن النساء اشتركن فى دراسة جميع الفروع العلمية دراسة عملية

وفى الإسكندريه خاصة ، تعلمت بنات الأساتذة العلماء ، تعلما عالياً ، فواصلن دراسة الفلسفة واللغة ، وعلم الآثار القديمة ، وقد اشتهر منهن كثيرات

وفى الفترة اليونانية الرومانية ، نادى بلوتارخ بتعليم النساء ، وقد انتشر التعليم بينهن فى أيامه إلى حد بعيد محمود

وأسباسيا « Aspasia » وضعت (موضعة) تعلم علم البيان والفلسفة ، كمثل تظهر به المرأة فى المجتمع الأثينى ، وأصبح الانتماء إلى جماعة نصيرات التعليم العالى بدعة سارية ، حتى أن كثيرات من نساء الطبقات الراقية (الشريفة) شغلن أوقات فراغهن بقراءة الفلسفة والشعر ، وحصلن على نوع من التعليم ، وإن لم يكن شعبياً ؛ فقد كان خصوصياً من محاضرين فنيين

ميول النساء فى ذلك العهد

ظل الكثيرون يعتقدون أن الشعر كان المجال الطبيعى للمرأة ؛ يضاف إلى ذلك الفلسفة فى الدرجة الثانية ، إذ صارت الفلسفة الحرفة العامة التى أجدن تعلمها حينئذ . ولكن لعله لا يغيب عن ذهن القارئ والقارئة ، وصف مدرسة سافو الشاعرة فى جزيرة Lesbian الجميلة التى أوى إليها الميلينيات لدراسة الشعر والفن

إن جمال جزائر لسبوس الطبيعى ، وحياة الطبقة الأرستقراطية المترفة ، وتوقد ذكاء وحذق سافو نفسها ، وحبها الخالص لصديقاتها

الفتيات من بنات جيلها ، كانت كلها مؤثرات قوية محبوبة فعالة لأهل زمانها

ليس من المستغرب إذن أن أكتسبت النساء حب الشعر وأولعن به ، كما طبعن على الجاذبية لكل شيء جميل في الطبيعة في تلك البيئة ؛ كما اكتسبن من مخالطتهن افنانة مطبوعة ، ومعلمة ماهرة مثل سافو أعلى الصفات



(سافو) تمثال رخامي بفيلا ألباني في روما
القرن الخامس قبل الميلاد — من مجموعة «الدكتور أحمد موسى»

حتى لقد قيل : إنه وجدت ست وسبعين شاعرة من بين نساء اليونان القديمة ، غير أنه لسوء الحظ لم يحتفظ لنا سجل التاريخ إلا بأسماء قليلات منهن ، بلغ عددهن تسع شاعرات ؛ لقبن بآلهة الشعر الأرضيات

عندما اتسع المجال أكثر أمام المرأة في عهد البطولة Heroic Age مهرت النساء في استعمال النباتات في فنون السحر ، وفي تطبيب الجروح . وعندما أصبح الطب علماً ، اشتغلت النساء بفنون منه. وظهر اختلاف أمزجتهن واستعداداتهن وميولهن الطبيعية، فمنهن من اشتغلت بالعلوم الطبيعية ، وعلم البيان والتاريخ واللغة ، وأحبت كثيرات علم النقد ، وانتشر بين بنات العلماء

ومن هذا يتضح فساد زعم من ظنوا أن مجال المرأة الطبيعي كان الشعر فحسب . ولعلنا نطمئن إلى هذا الحكم الذي يؤيده علم النفس المقنن في القرن العشرين

بنات الشاعرات

شاعرات اليونان اللائي سبقت الإشارة إليهن وشبيهاتهن ، كون نهضة مباركة من بناتهن اللاتي ورثنهن الميول القوية للفنون والآداب ؛ فكان منهن الموسيقيات ، والمصورات ، والشاعرات ، والفيلسوفات

والتاريخ وإن لم يدلنا على أنه وجد من بينهن ناحتات للتماثيل أو مكونات لها ، يذكر الفضل في اختراع هذا الفن إلى فتاة من كرنثيا Corinthia

والأثر إن صح يروي الآتي :

كانت الفتاة كورا Cora ابنة بوتادس Butades على وشك أن تودع حبيبها ، وربما كان الوداع الأخير ، لأنه كان معتزماً القيام برحلة طويلة . واتفق أن خياله انعكس على الحائط ، إذ كان الوقت ليلاً ويضيء المكان مصباح . فخطر للفتاة أن تحتفظ ولو بهذه الذكرى من حبيبها ، فرسمت محيط خياله في حياء . فلما رأى والدها ذلك العمل ، دفعته غريزته الفنية إلى أن يملأه لها بالصلصال ؛ فكون تمثالاً لحبيبها ، كان ناجحاً بعد حرقه في النار

المصورات

كانت لالا Lalla من نساء مدينة سيزكس Cyzicus من أقدر المصورات بالألوان ، وكان من أخص صفاتها السرعة في العمل (مثل الملكة فكتوريا) ، ومع ذلك لم يُنقص ذلك

شيئاً من مزايا نتاجها ، واعتبرت أول مصورة فى وقتها حذقت الرسم بالألوان وعلى العاج . وكل ما لونته من الرسوم كان صوراً لسيدات

وأخبرنا بلينى Pliny أنها صورت نفسها فى المرآة وهى عجوز ، وقد عرضت هذه الصورة فى معرض نابلى

وعثر على صورة أخرى لها فى بمباى ، وتمثل فتاة تجلس على مقعد يقرب من الأرض وتنظر إلى تمثال ، وفى يدها اليمنى ريشتها ممتدة إلى صندوق ألوانها وفى يسراها لوح للتصوير . وثيابها منسدلة بأناقة حولها . ويحيط شعرها المتموج رباط لطيف يتدلى حول رقبتها وأكتافها ، ويظهر على محياها مسحة تفكير وعلم تفيء أسارير وجهها الرقيق . فإذا صح أن هذه تمثل صورة « لالا » فإنها لا بد كانت جميلة فاضلة

الفيلسوفات

نبغت كثيرات من بنات اليونان فى الفلسفة والحرف العقلية فى مدارس بيثجوراس «Pythagoras»

جاء فى الأثر أن تأثير بيثجوارس فى كارتون «Karton» كان عظيما جداً ، حتى أن نساء المدينة أحضرن ملابسهن الثمينة وحليهن من عقود وأساور ، إلى هيكل هيرا Hera وأودعنها كمنحة للفضيلة العائلية . وآلين على أنفسهن منذ تلك الساعة أن يكون الحزم والحشمة رائديهن ، ولن تكون الثياب الثمينة بعد الآن ما يتحلى به جنسهن ، مستعيضات عن ذلك بالعلوم العالية والثقافة .

لعمرى لقد كان قبسا شريفا ومقصدا ساميا صنعت به المرأة اللبنة الأولى فى بناء الإنسانية الحق . وهل من شك فى أن العامل الأول فى أى نهضة يتوقف على المرأة ؟ إذن عليها أن تبادر بوضع بذور كل نهضة لتأخذ بيد الإنسانية مسرعة .

إن آثار النساء اللاتى تشربن مبادىء بيثجوارس تمتعن بسمعة يغبطن عليها فى العالم اليونانى كله ، حيث كانت نتائج تعاليمه بالنسبة لهن ، مبادىء سامية لأخلاق المرأة ، وعناية تامة بواجبات الأسرة ، والنهوض بوسائل المعيشة الصحيحة فى الحياة ولاسيما تربية الأطفال ، مما لا يزال بعض آثاره باقياً إلى الآن .

وقد كان شعارهن «Saphrosyne» وهو تعبير يعنى الاعتدال والاعتداد بالنفس والحياء ، والفضيلة الزوجية ، وبالاختصار : كل ما هو جدير بأن تكون عليه المرأة . وفيما يلى مثال مما يشير إليه ما ذكر :

زوج بيثجوراس

النساء اللاتى نشأن على مبادىء بيثجوراس على ما امتزن به من تلك الصفات العالية والقوى الإنسانية التى هيأن بها حياة ناجحة ، لم تضارع إحداهن « Theano » ثيانو ذات العقل الراجح زوج بيثجوراس فلقد مزجت الفضيلة بالحكمة مزجاً متناسقاً ، بحيث مثلتها الآثار لها لا كأول امرأة ممتازة فحسب ، بل مثلتها كالنموذج الأول لنشأة المرأة الذكية الصحيحة أيضاً

نعرف عن حياة « ثيانو » بعض حوادث أخلاقية فقط ، وهذا يجعلنا ننفذ إلى حقيقة أخلاقها . وأهمها الأقوال المأثورة التى قالتها فى مناسبات خاصة :

سئلت مرة عما تتمنى أن تتميز به ؟ أجابت ببيت من شعر هومر تمثلت به : « اكترائى بالمنزل ، واعتنائى بفراش زواجى »

وسئلت مرة أخرى : ما الذى تسأل عنه الزوجة ؟

أجابت : أن تعيش خالصة لزوجها

وسئلت أيضاً : ما هو الحب ؟ قالت : الحب هو غرام النفس الوالهة

حدث مرة أنها ألقت رداءها وظهرت ذراعها ، فرآها رجل ودهش من جمال تكوينها ، فقال : ما أجملها من ذراع ! فقالت : ليست لنظرات العامة ، وأسرعت بتغطيتها.

وقد استعار هذه الملاحظة بلوتارخ ، وغيره من رجال الدين من بينهم كليمنت بالإسكندرية ، كما استعارته المؤلفة البيزنطية أنا Anna ، وقد كانت ثيانو شاعرة وكاتبة ناثرة ، وقد عثر على قليل من أعمالها الفلسفية والدينية يستدل منها على مقدار نمو مواهبها فى التعليل ، وفى مناقشة مسائل تربية الأطفال ، ومعاملة الخدم ، وكبت الحسد والعواطف الجامحة ، كل ذلك بأسلوب مؤثر حساس لطيف

ولقد كانت أمينة إلى أقصى حد ، فى نشر مبادىء وتعاليم زوجها كمعلمة وكاتبة ، أما موتها وظروفه فغير معروف

هذه صفحة من صفحات المرأة اليونانية الغابرة ، فلعمرى هل يكون نتاج أختها اليونانية الحديثة ، يونانية عصر النور والراديو ، والحديد والنار ، أشبه بنتاجها أو أرقى منه ؟ هذا ما نرجوه

زينب الحكيم



رسالة الشعر



من مجيم الغالبد

التي في الأصفاد!...

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

«إلى ملهمتي .. في قيود الرجعية الغاشمة التي لا تدين بشرعة الحب العليا وتنكر على الهوى أزلية أنواره في قلوب العشاق!»

يا قدسها! هلّت كوحي الإله ... على نبيّ أسكرته الصلاة!
على جناني وهو غِرّ الصِّبا ... أذهل دنياه ضباب الحياة
على صباحي وهو طفل السنا ... من وحشة الأيام يبكي ضحاه
حيران. لا أيكٌ، ولا زهرةٌ ... ولا خميلٌ يتحسّى شذاه
ولا مُنًى تُشرق فيه، ولا ... شعاع أحلامٍ يناجي سناه
حفيف قبلات الهوى عنده ... لم يدرِ حتى في الليالي رؤاه
ولذّة النجوى وأسمارها ... لغو الأحاديث، ولهو الشفاه
كنتُ فناء في ديار البلى ... خاصمه البعث فألقى عصاه
كنتُ بكاء سرمديّ الأسى ... أجفانه لم تدرِ ماذا شجاه
كنتُ أنيناً في حشا طائرٍ ... شلّت أغانيه أكفّ الرماه
كنتُ حنيناً غامضاً، في دمي ... شعرٌ. ولكن أين مني لقاه؟
كنتُ وما كنتُ ولكن هوى ... ظمآنُ، لم ترْوِ الليالي صداه
ظمآنُ! لا خِلٌّ، ولا صاحبٌ ... إلا شقاء سابقتني خطاه
حتى أهلّت فتنتي، مثلما ... حيّا الندى زنبقةً في فلاه
ألقت على روحي شعاع المنى ... والسحر والشعر، وخمر الحياه
عذراء لا من أمها آدمٍ .. ... نشّبتها في الكون فنّ الإله!
وجهٌ ..حرامٌ يا فمي وصفه! ... ما كان خلف الستر إلا صلاه
صوامع الرهبان ألقت له ... سرّ القرابين، وتاب العصاه
له هدوء النبع في واحةٍ ... سجواء لفّ الطير فيها كراه
ما نورة النول؟ وما طيبها ... إن شممت عطر الهوى صفحتاه
وما لها «بابلُ» مشدوهةً ... «هاروتُ» ينماها لنار الرقاه؟
حوريّتي مرّت بها أم رنت ... منها إلى السحر عيونٌ سواه؟
الله لي ... يا ثغرها رحمةً ... فالكرْم أطيافٌ لتلك الشفاه
صوتك لحنٌ عبقريّ الصدى ... أفنى ولا يفنى بسمعي صداه
إني من الطين... فطهّر فمي ... كيما يناغيك بدنيا هواه
وينقل التسبيح عن خافقٍ ... ألحانه تعجز جنّ الرواه!
من لفّ هذا الحسن عن عبده؟ ... ومن بهذي الأرض عنّي زواه؟
قومك يا آسرتي! ما زكا ... عنّي لديهم في العُلا أيّ جاه
جدّي «فرعونُ» لدى كبره ... كم أطرقت دنيا وخرّت جباه!
والفنّ زادي وعفاف الهوى ... أقدس ما حمّل يوماً سُراه (1)
هذا الرخيم الشدو في أنملي ... ناي يروع الدهر ضاق صباه
مالي يدٌ في سحره .. فاسألي ... فسرّه العالي بعيدٌ مداه
من وحيك انهلّت أغانيه ... ومن هواك العذب أشجى بكاه
إمّا ترنّحت بإنجازه ... آلهة «الأولمب» خرّوا تجاه

(1) جمع الساري

فلسطـــين

للأستاذ محمد الأسمر

سلوا الأرضَ ما تلكَ القنا والقنابلُ
وما (خط ماجينو) ، وتلك المعاقل
أرى عصرَنا عصرَ الجرْدِ سيفه
فسلْ بالظُّبي عن كل ما أنت سائل

تبينتُ أنَّ الحق إن لم تُتح لهُ بواسلُ يخشى ظلمها فهو باطل
لعمرك لو أغنى عن الحق أنه هو الحقُّ ما قام الرسول يقاتل
ولم يلق عيسى وهو يدعو لربه من الناس ما ساقت إليه الأراذل
فلا تحسبنَّ الحق ينهض وحده إذا ملت عنهُ فهو لا شك مائل
أقمْهُ ، وأسنده ، ودعِّم بناءه وذُدْ عنه ذود الليث والليث صائل
ولا تُسندنَّ الحقَّ بالقول وحدَه فإنَّ عمادَ الحق ما أنت فاعل
من العقل ألا يطلبَ الحقَّ عاجزٌ
فليس على وجــــه البسيطة عادل
ولـكن قويٌّ يشربُ الدم سائغاً إذا نضبت يومَ الورود المناهل

أسودَ (فلسطين) تحيةَ شاعرٍ . وكلُّ (فلسطين) أسودٌ بواسل
حللتمْ على الوادى المبارك ، أهلَه فأنَّى نزلتم ، فالقلوب منازل
ذهبتمْ إلى المنفى كواكبَ أمةٍ وعدتمْ كما عادتْ بدور كوامل
همُ أغمدوكم فى السجون مناصلاً فها أنتمُ عدتمْ وأنتم مناصل
خرجتم يواقيتَ السجون وعدتمُ يواقيت هولٍ بأسُه متواصل
وما أنتمُ إلا سيوفُ ملاحمٍ وما حادثاتُ الدهرِ إلا صياقل
لقــــد جادلوكم بالسيوف لياليًا
طوالاً ، وكان القولُ بالسيف قائل
وعادوا فقالوا فاوضونا ، ففاوضوا على حذرٍ ، لا يختلِ الحقَّ خاتلُ
دَعوْكم لميدانٍ جديدٍ ، جيوشُه كلامٌ ، وفيه اللفظُ للفظ قاتلُ
وكلكم ، والحمد لله ، فارسٌ يدافع عن أوطانه ، أو يجادلُ
أسودَ (فلسطين) ذيادًا عن الحمى
وعن غابكم ، لا يدخل الغاب داخل
فما عاش حرًّا من مشى فى بلاده وأمته قد طوقتها السلاسل
وما (سيشلٌ) عندى التى كنتم بها
ولكنها دارُ الأذلاء (سيشل)

محمد الأسمر

مَاذَا ؟ ! وَأَهْلُوكِ عَلَى غَفْلَةٍ مَرُّوا بِوَادِى الْحُبِّ صُمًّا قُسَاهْ
لَمْ يَسْمَعُوا النَّجْوَى . . وَلَمْ يَرْحَمُوا فِى حُسْنِكِ الْمَعْبُودِ نَارَ الشَّكَاهْ
غَنَّتْ لَكِ الأَصْفَادُ شِعْرَ الأَسَى وَالْعَابِدُ النَّائِى يُغَنِّى لَظَاهْ !
. . . .

محمود حسن اسماعيل

قصائد فى أبيـــات

للأستاذ محمود غنيم

ديك الصباح

قلت للديك ســـاعة صاحا هل تغنى لنا نشيد الصباح
قال : لا ، بل نعيت يوماً راحا ومحاه من صفحة العمر ماح

الذئب

قلت للذئب أنت وحش ضَارِ قال أظفاركم شأت أظفارى
أفمار أن يقنص الذئب سخلا واقتناص البعير ليس بعار
أفزع المرء كلَّ شاه وأيلٍ وأخاف الطيور فى الأوكار
استغاث العقاب فى الجو منه واتقى النون شره فى البحار
ولخير للشـــاة ناب وظفر من شفار المدى وشىَّ النار

« مدرسة الأورمان » محمود غنيم

دوحـــة الفرصاد[1]

للأستاذ عبد الحميد السنوسى

ولقد مررتُ بدوحة الفرصادِ فشهدتُ ما فعل الزمان العادى
جفت نضارتُها . وصُوِّح نبتها وتناثرت أوراقها فى الوادى

(١) شجرة التوت الأحمر : وهي شجرة لها فى قلب الشاعر ذكريات حلوة حركته إلى نظم هذه الأبيات



راهب إيلياء

للأستاذ محمد سعيد العريان

على حدود الصحراء صوامع وبيَع ، وكنائس وأديار ؛ فيها قساوسة ورهبان نذروا أنفسهم لله أو نصبوا حبائلهم للمال ؛ منهم برٌّ وفاجر ، وناسك وداعر ؛ وحواريٌّ من بقية السلف المؤمنين خاشع في محرابه ، عاكفٌ على أسفاره ، يترقب مَشرق الصبح بنفس راضية وقلب عامر ؛ وآخرُ شيطانٌ في مسوح راهب ، قد استمرأ المرعى في ظل البطالة ، واستوطأ المُقام في كنف الراحة ، واستلذّ الحياة في الدَّير بين خمرٍ عتيق وقدٍّ رشيق وعودٍ وندامى !

وعلى ساحل البحر قلاع وحصون ، وصياص ومعاقل ، وجند من جند الروم قد رابطتْ على أهبة واستكملت السلاح والعدة !

وبين الصحراء والبحر من بلاد الشام يعيش شعب مرزوء ، سلبه غزاةُ الروم وطنَه ومالَه ، وسلبه الرهبان والقساوسة الدينَ والخلقَ وحرية الفكر والضمير !

وكانت قوافل التجار لا تنقطع بين الحجاز والشام

* * *

وكان يوماً قائظاً حين وفدت على الشام قافلة من التجار العرب ، فأناخت جمالها على حدود الصحراء في ظل جدار قائم ، تستجمّ لما بقي من الرحلة ، وتنفض عن كواهلها غبار السفر الطويل في صحراء ليس فيها ظلٌّ ولا مأوى ! وكان بينهم عمر !

فتًى آدمُ طوّالٌ أصلعُ أقنى الأنف قويٌّ الساعد بعيدُ ما بين المنكبين ؛ في عينيه بريق ينبئ عن عزم وفتوة ، وله نظرةُ الآمر المطاع بين رفاقه وإن لم يبلغ العشرين بعدُ ، وفيهم الكهول والأشياخ !

وبلغت القافلة حظها من الراحة فنهضت تستأنف السير ، فما كادت تمضي في طريقها خطوات حتى اعترضها واحد من الرهبان!

ووقف الراهب يتفرس في وجوه القوم برهة قبل أن يخطو إلى عمر فيضع يده على كاهله يختاره لما يريد من أمر !

وأيقن الركب أن لا قدرة لهم على عصيان الراهب فيما يريد ، فخلفوا الفتى بين يديه ومضوا على وجوههم ...

ولم يستطع عمر خلاصاً من يد الراهب ، ولم يعرف لأي أمر يريده ، فانقاد له . وبلغا الدير فدخل الراهب ودخل عمر ...

وكان في الحوش كومة من تراب ، وإلى جانبها مجرفة ومكتل ؛ فتقدم الراهب إلى عمر يأمره : « يا فتى ! هذا التراب تحمله من هنا إلى هناك ... يجب أن تفرغ منه قبل أن أعود إليك ... ! »

ثكلتْك أمك يا عمر ! ألهذا كانت رحلتك الطويلة في البادية الظامئة من الحجاز إلى حدود الشام أياماً وأسابيع ؟

وجلس الفتى يتحدث إلى نفسه مغيظاً محنقاً ، لا يجد من

فبكيتها ، لا بل بكيتُ صبابتي ... ورثيتها ، لا بل رثيتُ فؤادي
يا دوحةَ الفرصاد غيرك البلى ... وجرت عليك روائح وغوادي
أشبهتِ أعوادي التي نثر الأسى ... أوراقها ، واهًا على أعوادي
قد كنتِ مثلي في الربيع غضيرةً ... أيامَ أوراق المنى أبرادي
فغدوتِ عارية فلا ثمرٌ ولا ... ورق عليكِ ولا حَمام شادي
أشبهتني حتى بكيتُ وإنما ... يدري جوى الصديان قلب الصادي
يا قلب ليتك في النعيم وفي الأسى ... أبدَ الزمان كدوحة الفرصاد
فلقد يعود مع الربيع شبابها ... لكنْ شبابُ العمر غير معاد

عبد الحميد السنوسي

كبريائه سبيلاً إلى الطاعة ولا طريقاً إلى الخلاص . ومضت ساعة وعاد الراهب مخموراً يتهالك من نشوته ، وإن عليه لثوباً رقيقاً من حرير يشفّ ويَصف ، ويفوح من أردانه عطر مُسكر !

ونظر الراهب إلى كومة التراب ما تزال فى موضعها حيث كانت ، وإلى جانبها المكتل والمجرفة ، وإلى عمر مازال فى موضعه واقفاً يتفكر ...

ودنا منه الراهب وفى عينيه الغضب ، فلطمه لطمة أليمة وهو يسبّ ويتوعّد ... !

هواناً لك يا عمر إن لم تأخذ بحقك ثأراً كما يثأر البدوىّ لعرضه المنتهك !

وهاجت كبرياء عمر فتناول المجرفة من قريب فأهوى بها على رأس الراهب فخرّ صريعاً لوقته لم ينبس بكلمة !

« لك ما أردتَ لنفسك ... ! » :

قالها الفتى العربى وهو يجمع عزيمته فى رجليه فيقفز على سور الدير إلى الطريق لا يعرف أين ينتهى ولا أين يدركه الطلب !

ومضى على وجهه فى المفازة الشاسعة عدْواً كالظليم لا يقف فى طريقه شئ من حفرة أو صخرة أو تلّ معترض ، حتى انتهى إلى جدار قائم فأوى إلى ظله حتى تفئ إليه نفسه ...

وأطلّ رأس من نافذة ينظر ... ثم انفتح باب الدير الذى أوى إلى جداره عمر ؛ وخرج إليه راهب يسأله عن خبره ... !

« من تكون يا فتى ؟ وما جاء بك ؟ »

واستمع عمر إلى الصوت الذى يناديه فرفع رأسه ينظر ؛ فإذا قسٌّ ناحل سقيم الجسد غارق فى مسح أسود ، وعلى جبينه إشراق ونور وفى عينيه تواضع ورحمة .

أجابه عمر فى صوت يختلج : « سيدى ! عابر سبيل أضلّ أصحابه فأوى إلى ظلك ساعة يستريح ! »

سمع الراهب لحديث عمر ثم قال مبتسماً : « أحسبك لم تصدقنى يا فتى ؛ فإن فى عينيك بريقاً ينبئ أنك هارب مذعور ! »

ازدرد الفتى ريقه، واستطرد الراهب : « لا عليك؛ إن عندى مأوى صالحاً وطعاماً ! »

وقاده من يده إلى الدير وأغلق الباب وراءه ... ... !

* * *

جلس عمر إلى مائدة شهية فأكل وشرب ؛ والراهب بإزائه يحدق فيه لا يكاد يطرف جفنه ، وبينه وبين نفسه حديث طويل .

فلما فرغ من طعامه جلس إليه يتبادلان الحديث ، حتى أنس عمر وثابت نفسه ، وصمت الراهب برهة ثم عاد ينظر فى وجه الفتى وهو يقول : « أئنك لأنت ... ؟ »

وطارت نفس عمر ، وتوزّعتْه الظنون ، واستمر الراهب فى حديثه : « ... ألا إنه ليس فى هذا البلد من هو أعلم منى بعلم أهل الكتاب ؛ فإنى لأكاد أوقن أنك الشخص الذى أعنى : ستدول دولة الروم فى الشام على يدي فتى مثلك ؛ ويخفق عليها لواء دين جديد ! »

لم يفهم عمر كلمة مما قال الراهب ، ولكنه استمر يستمع له مدهوشاً ذاهلاً ، وفجأة سأله الراهب : « ما اسمك يافتى ؟ »

قال : « ... عمر بن الخطاب ، من بنى عدىّ ! »

وهب الراهب واقفا وهو يقول : « والله ما خدعتنى فراستى . إنك لأنت هو ؛ فهل تعاهدنى ... ؟ »

ثم أتى بقرطاس وقلم فدفعهما إلى عمر قائلا : « اكتب ... اكتب أننى جارٌ لك ، لا عدوان علىّ فى مالى ولا فى نفسى يوم يئول أمرها إليك ... ! »

وفغر الفتى فاه دهشة لما يرى وما يسمع ؛ ثم توجه إلى الراهب يقول : « سيدى ، لقد أكرمتنى وألطفتنى ما لا مزيد عليه ، فلا تسخر منى بعد ! »

قال الراهب : « أظننت ؟ لعمر الحق ما عنيتها ، ولا عليك من شىء أن تكتب ؛ فإن كان الذى أتوقع فقد فعلت ، وإلا فلن يضيرك مما تكتب شىء ! »

وتناول عمر القلم فكتب ما أملى عليه الراهب ثم دفع إليه الكتاب ...

* * *

وعاد الفتى إلى أهله ، يعيش عيش المترفين من فتيان العرب ، لا يعنيه من أمرٍ شىء ، إلا ما يعنى غيره من شباب مكة من المنافرة والمفاخرة وانتهاز سوانح اللذات !

ومضت سنوات ، ونسى الفتى ما كان من أمره فى الشام !

وبعث الله محمداً نبياً يدعو إلى الحق وإلى سبيل الرشاد ؛ فآمن من آمن ، وأنكر دعوته من أنكر ؛ وكان عمر أشد أعداء محمد حرباً عليه وعلى صحابته ، فما أمكنته الفرصة مرة برجل من أصحاب

محمد إلا ناله بما يكره من الأذى والمهانة !

ومضت ست سنين منذ بعث الله محمداً بالحق قبل أن يسلم عمر بن الخطاب !

وراحت جنود الإسلام تغزو الشرك فى دياره ، فما وطئت بلداً إلا أعلت كلمة الله ورفعت راية الإسلام . ومضى المسلمون فى جهادهم يفتحون الأمصار ونورهم يسعى بين أيديهم ؛ فما انتقل محمد إلى ربه حتى دانت الجزيرة العربية كلها وغمرها نور الإسلام

وتولى عمر إمارة المسلمين وجنودُ الإسلام يومئذ على حدود الشام ؛ فمضى قُوّادُهُ إلى غايتهم يبشرون بالدين ، حتى تم فتح الشام على أيدى أبطاله : خالد ، وأبى عبيدة ، وعمرو ، ويزيد بن أبى سفيان . وخلصت بلاد العرب من أبناء غسان — من عسف الروم وبطش الرّهَابين ، لتعود جزءاً من الدولة العربية المسلمة التى يقوم على شئونها عمر !

وتخفف أهل الشام من أثقال الحكم الغابر ليعودوا إخواناً متحابين ليس لأحد على أحد يد ولا منة ؛ وانزوى الرهبان فى أديارهم لا يربطهم بالجماعة رابطة إلا ما يدفعون للأمير العربى من الجزية تأميناً لأنفسهم ولما يملكون من مال اجتمع لهم على الأيام مما اغتصبوا من أفواه الجياع باسم الدين ! فأيّما رجل منهم حدّثته نفسه بالعصيان والتمرُّد ، ردّوه بأسيافهم إلى الطاعة وأجلَوْه عن صومعته ليجعلوها مسجداً من مساجد المسلمين ؛ فلهم حرية العبادة وحرية المقام ما التزموا حدودهم التى ضربها الإسلام عليهم ...

* * *

وتم الأمر للعرب فى بلاد الشام ، فكتب أمير الجند أبو عبيدة إلى عمر يدعوه ليعقد الهدين أهل الشام والعرب الفاتحين ويكتب لهم به . وقدم الركب الحجازى يقدمه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ؛ حتى أناخ رواحله فى بيت المقدس . . . وجلس عمر ذات يوم بين أصحابه وقادة جنده يشرع لهم ويبادلهم الرأى والمشورة ؛ فإذا راهب مقبلٌ من بعيد إلى حيث يجلس هو وصحابته ؛ فما إن تبينه عمر مقبلاً عليه حتى عرف ؛ فارتد بفكره إلى الماضى يذكر تاريخاً بعيداً وذكرى مضى دونها بضع وعشرون سنة ؛ فأطرق برأسه متأثراً وهو يقول فى همس: « جاء مالا طاقة عليه لعمر ! » ثم رفع رأسه وفى عينيه بريق عجيب ، وقد تغشّته الذكرى وعادت به إلى ماضيه تنشره أمامه صفحة صفحة منذ كان، وكان ، وكان...

ودنا الراهب الشيخ من مجلس الأمير حيا ووقف وفى يده صحيفة مبسوطة ، فتناولها الأمير وجعل يقرأ :

« هذا عهد من عمر بن الخطاب إلى راهب إيلياء ؛ له ما لأصحابنا وعليه ما عليهم ، لا نظلمه ولا نخذله ؛ ولا نفرض عليه ما لا طاقة له به ، وله ديره وما ملك ... ! »

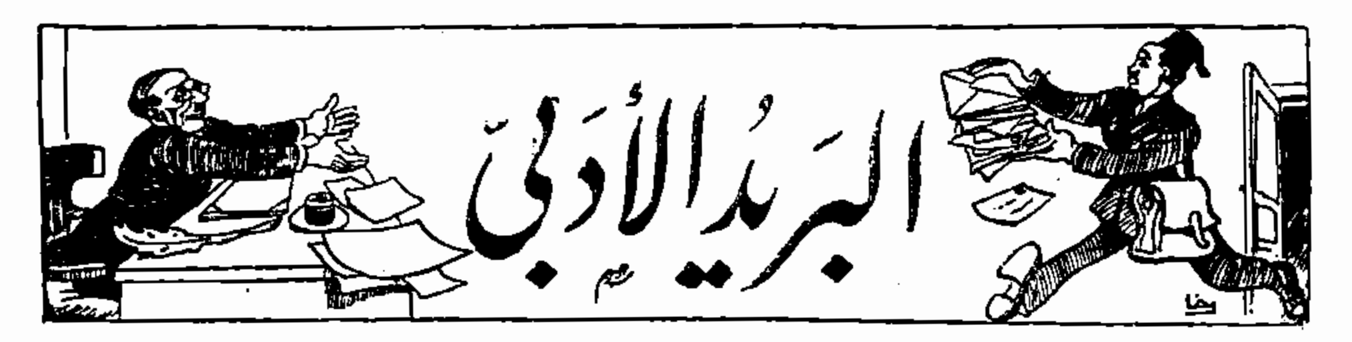
وهم الراهب أن يتحدث ليشرح أمره فابتدره عمر : « حسبك حسبك ؛ إن لك ذمة فى عنق كل مسلم وكل عربى ، إن لم يؤكدها هذا الصك المكتوب أكدها شرف العربىّ وخلق المسلم ! »

ثم التفت إلى عامله أبى عبيدة قائلا : « ذلك جارى ، فله عليك الأمان والذمة ، لا يعرض له أحد بسوء ولا يناله بما يكره ! »

وتلاشت آخر كلماته فى بحة راعشة، وغامت عيناه بدموع التأثر. ثم نهض رافعاً رأسه وهو يقول فى كلمات عميقة النبر بليغة الأثر :

« حيثما يرفرف لواء الإسلام فليس ثمة إلا العدل والوفاء والرحمة. لا يعرف الفاتح العربى غطرسة الحاكم ولا جبروت المنتصر ؛ ولا شىء بين الحاكم والمحكوم إلا دين الله ووشائج الإنسانية ! »

« شبرا » محمد سعيد العريان



الفنانون المصريون

لما كنت فى جبال الدولوميث صيف السنة الماضية لقيت نفراً من مهرة الفنانين الإيطاليين . فحدثونى عن القسم المصرى لمعرض البندقية الواحد والعشرين XXe Biennale . وكان حديثهم من أعذب ما سمعت إذ أقروا أن دلائل الفن المصرى الحديث من الطراز الأول . ولما انحدرت من جبال الدولوميث إلى سهول إيطالية لم أر بداً من الذهاب إلى البندقية فوصلتها فى يوم يكاد فيه الهواء يصل إلى الرئة : حر أسوانى وثقل فى الجو ثم بعوض فتاك

إن القسم المصرى فى معرض البندقية كان شيئاً عظيماً حقاً . فلم أفرغ من تأمله حتى بعثت إلى « الرسالة » بمقالة مسهبة وصفت فيها المعروضات وعللت تقدم الفنانين المصريين . وإذا المقالة لا تنتهى إلى « الرسالة » عفا الله عن البريد

وليعز على أن أهمل ذلك القسم المصرى ، إلا أنى أصبحت أرى معروضاته على ضوء ضئيل أو كما يقول المصورون أنفسهم فى ضياء مظلم clair obscur ومما زيد فى أسفى أن هذا القسم عرض ثانية فى فندق الكونتيننتال فى القاهرة وأنا لم أحضرها بعد

فهل يؤذن لى أن أكتب من الذاكرة ؟

أذكر من الصور تلك التى عرضها محمود سعيد وهو مصور يحق له أن ينافس كبار زملائه من الفرنجة . ويمتاز سعيد ببث الحياة الزاخرة فى نواحى صوره وبالإتقان من غير تكلف وبالتأليف الجامع المدفون فى اللمحات والإشارات كأنه نغمات تنسجم على وزن لا يبلغ الأذن . ثم إنه أخذ يفلت من تأثير رورندت Rewbrandt وروبنس Rubens وحول أنظاره إلى الفطريين أمثال فان إيك Van Eyck إلا أنه يصب فى ألواحه ما يحس به خاصة وما يضطرب فى الطبيعة المصرية . وله أداء تعبيرى يدعوك إلى الروية وطلب المزيد . وإنك لتلمس هذا أمام صورتين له على وجه التخصيص هما : فتيات بحرى والجزيرة السعيدة .

وأذكر من المنحوتات تمثالاً لأحمد عثمان يبرز فتاتين خارجتين إلى النزهة فيما أظن . والتمثال على الطريقة الوصفية الدقيقة . إلا أن الدقة فيه غير مباشرة ، ومعنى هذا أن التفاصيل لا تؤدى على حالها المنظور بل على حالها المتخيل . وهذا أسلوب فى الأداء عرفه قدماء المصريين . وجمال هذا التمثال من جانب الصدق الذى يفيض من نواحيه ثم من جانب قوته التزيينية décorative

وهنا أحب أن أعلن أن الفن فى مصر الحديثة سبق الموسيقى والرقص والشعر حتى النثر لأنه بنجوة من الرأى العام لانصراف الجمهور عن مظاهره ، والرأى العام عندنا يكره الوثبات ، ولأنه غير خاضع لسلطان التقاليد والمنقولات إذ التصوير فى الإسلام لا يعدو جانب التزويق ، ولأنه نهض أول ما نهض على قواعد الفن الأوربى وحده فلا نزاع ولا شقاق ولا تقديم رجل وتأخير أخرى . أضف إلى كل هذا أن أصحابه أدركوا أن غاية الفن الصحيح طلب الطرافة من ناحيتين : الأولى بالانطواء على النفس والثانية باستلهام ما يحيط بك . فهذه تخرج لكل بلد فنه الموقوف عليها لأنه مستمد من سمائها وأرضها وسليقة أهليها ، وأما تلك فترسل فى ألواح كل فنان معنى وتنفث سراً .

بشر فارس

من مآسى الحياة

سيدى الأستاذ الزيات

لقد وعدت أن أقص عليك ما أعلم من مآسى الحياة ، ولكنى رأيت ألا أفى بوعدى رحمة بالرسالة وقراء الرسالة

إن حبى للرسالة يمنعنى أن أحملها من المآسى ما تخر تحته الجبال .

مآس سحقت قلوباً كانت قوية ، وأذلّت نفوساً كانت عزيزة أبيّة ، وهدمت حياة كانت حافلة بالآمال والأعمال .

فهل فى استطاعة الرسالة احتمال كل هذا ؟

أما كفاها ما حمّلها صاحبها من مآس وهى لا زالت طفلة فى السابعة من عمرها؟ لقد رأيت الدموع تجرى بين سطورها، وسمعت أنات القلوب المحطمة بين صفحاتها ، فهل أزيدها ألماً وأحمّلها عصارة القلوب المنسحقة ؟ .

رحمة بالرسالة يا سيدى فهى — على رغم ما تحمل من علوم وآداب عالية — لا زالت رقيقة صغيرة نضرة . وإنى لأشفق عليها من وصف ما وصل إليه الإنسان من وحشية وقسوة ! !

نعم يا سيدى الفاضل « إنه لا يزال فى خبايا الغيوب وطوايا الحجب ما هو أمضّ لوعة وأشد روعة من « فتون وجنون »

لا يزال فى خبايا الغيوب وطوايا الحجب مآس هى أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة. وفى خبايا الغيوب آلام تضعف عندها الألفاظ وتمتنع عنها أقوى المعانى

وفى طوايا الحجب ضحايا ...

ليت رحمة الله تدركهم فيذوقوا نعمة الموت ! حتى الموت امتنع عنهم

وهل هناك أشد بؤساً من قوم كل أملهم انتظار الموت ؟

لا تشك الدهر فيما يأتى به من شقاء ، ولا تلم القدر بما يجيب من دعاء ، فإن قلب الإنسان أشد قسوة وأمرّ تعذيباً من كل هؤلاء . بين الناس من يحملون قلوباً كالرحى . ولقد فكرت مراراً كيف يقدر الإنسان أن يتفنن فى تعذيب إنسان آخر وخصوصاً إن كان أقرب الناس إليه ! ! ولكنى عجزت عن الجواب .

أرانى يا سيدى الفاضل تماديت فى الحديث أكثر مما كنت أود

وأخشى إن أنا استرسلت فى الكتابة أن أكشف عن خبايا مآس ربما كان سترها أفضل ، وأعيد ذكرى آلام ربما كان نسيانها أوفق، فعفواً سيدى ومعذرة إن أنالم أنجز وعدى. فليس فى استطاعتى أن أقص عليك . فربما كان الصمت أبلغ من القصص .

ا . ش . ف

هل عبد الإسرائيليون أبا الهول ؟

جاء فى العدد (٢٨٨) من مجلة الرسالة الغراء أن كلة « أبو الهول » محرفة عن كلة « بوحول » ، وهى لفظة إسرائيلية معناها « مكان حول » و « حول » إله محلى فى فلسطين ، فلما نزل الإسرائيليون أرض مصر أقاموا بجوار أبى الهول ، وعبدوه بدلاً من أحد آلهتهم ، لما بينهما من تشابه

ولا شك أن هذا ينافى ما هو معلوم من تاريخ الإسرائيليين ، لأنهم لم يكن لهم إله بفلسطين قبل هجرتهم إلى مصر يسمى « حول » . فإن الذين هاجروا منهم إلى بلاد مصر هم : يعقوب وأولاده ، ويعقوب هو إسرائيل ، وإليه ينسب الإسرائيليون . وقد كان هو وأولاده يعبدون الله تعالى قبل هجرتهم إلى مصر ، وبعد هجرتهم إليها كما هو معلوم من إجماع الكتب المقدسة وغيرها. ولا يصح أن يعدل عن تواتر التاريخ بهذه المناسبات اللفظية التى ترجع إلى توافق اللغات وتشابهها ، ولا يمكن أن يؤخذ منها تلك الأمور التى تنافى الحقائق التاريخية

والمعروف أيضاً أن الإسرائيليين لما هاجروا إلى مصر نزلوا بأرض جاسان ، وهى فى مديرية الشرقية الآن ، وقد أقاموا بها إلى أن أخرجهم فرعون موسى منها

فإذا صح أن قوماً من فلسطين نزلوا بجوار « أبو الهول » وعبدوه . فإنهم يكونون من الفلسطينيين الوثنيين لا من الإسرائيليين الموحدين ، وقد كانت فلسطين جامعة للفريقين

وإذا صح أن اسم « أبو الهول » فى الهيروغليفية هو : « حرأم آخت » ؛ ومعناها : « هوراس الذى فى الأفق » . فإن الأقرب أن يكون تحريف ذلك الاسم عن « هور » . لا عن « بوحول » ، وإضافة لفظ الأب إلى أسماء : (الأعلام) شائعة فى العامية المصرية إلى الآن ، وهذه التسمية من وضعها ، وقد جاء ذلك الصنم فى كتب مؤرخى العرب باسم « بلهيت » أو « بلهوية »

عبد المتعال الصعيدى

تمثال مصرى قديم يخرج عن مصر

نشرت بعض الصحف نبأ عن تمثال مصرى معروض على متحف متروبوليتان فى الولايات المتحدة لشرائه، وقالت إنه أخرج من مصر خلسة . وقد قالت مصلحة الآثار المصرية إنه لأمير مصرى استخرج من حفائر دهشور حول هرم الملك ببى من الأسرة السادسة ، وكان يقوم بالحفائر فى تلك المنطقة مسيو جيكييه رئيس البعثة الفرنسية . والمفهوم أن هذا التمثال أرسل من مصر قطعاً

صغيرة ثم أعيد تركيبه في أمريكا وعرض للبيع فقدر له مبلغ ١٥٠٠ جنيه مصري ثمناً وقد أرسل متحف المتروبوليتان الأمريكي إلى مصلحة الآثار المصرية خطاباً يعرض عليها فيه شراء التمثال بهذا المبلغ فطلبت إرسال صورة له للاطلاع عليها

وتبحث مصلحة الآثار باهتمام في هذه الأيام الطريقة العملية لمنع تسرب الآثار المصرية إلى الخارج ، وقد اشترطت أخيراً على هذه البعثات وجوب وضع فني مصري في كل بعثة لمنع أمثال هذه الحوادث

أعظم مجهر في العالم

حضر ولي عهد بلاد السويد في ٧ يناير تجربة الميكروسكوب الكهربائي الذي يكبر حجم الأجسام الدقيقة والذرات مائة ألف مرة

وإذا تصورنا أن الميكرسكوب العادي قد لا يتجاوز في تكبيره خمسة آلاف ضعف ، أمكننا أن نتصور عظمة هذا المجهر الذي سيكون له أعظم شأن في الكشف الطبي والعلمي والفني

والمخترع لهـذا الميكرسكوب العجيب العلامة سيجباهو المعروف في جامعة أوبسالا والذي منح جائزة نوبل للعلوم الطبيعية

ويقال إن البروفسور سيجباهو استعمل مجهره العجيب على أساس الأشعة الكاتودية بدلاً من الأشعة الكهربائية العادية

ونحن إذ نسجل هذا الخبر ندعو الله أن يمهد السبيل لأحد المصريين أو أبناء الشرق أن يخترع اختراعاً أو يكتشف اكتشافاً يكون له دوي عالمي حتى يلتفت العالم العلمي إلى بلاد تكثر من ذكر العبقرية وذكر النبوغ دون أن يكون من بين أبنائها من يمكن إطلاق إحدى الصفتين عليه بجدارة واستحقاق

مصلحة للآثار العربية

كانت النية معقودة في وزارة المعارف المصرية على ضم دار الآثار العربية إلى إدارة الآثار الإسلامية وإنشاء مصلحة بهما معاً

وقد رفعت مذكرة إلى مجلس الوزراء بهذا الشأن ، والمأمول بعد هذا الضم أن يتم العمل في ترميم الآثار والمساجد الإسلامية التي لا يزال بعضها مهملاً مع كونه هاماً أو على جانب من الجمال الفني

وقد قامت إدارة الآثار الإسلامية بمجهود جبار مع كونها كانت إدارة ؛ فلا يبعد أن يتضاعف مجهودها إذا ما أصبحت مصلحة مستقلة ذات ميزانية كبرى

توليد السماد من الهواء

من المسائل التي تهتم بها الآن مصلحة التجارة والصناعة بحث كشف علمي جديد كشفه أحد الأمريكيين وسجله لدى حكومته

وخلاصة الكشف أنه يمكن توليد السماد من الهواء بطريقة خاصة تجمع بين غاز الأكسجين وغاز الأزوت بعد تسليط أشعة خاصة هي وسط بين أشعة إكس وأشعة الألترا فيوليت . وقد أوضح المكتشف في تقريره إلى مصلحة التجارة والصناعة المصرية بأن طريقته أقل نفقة من غيرها ، ولذا أرسلت الوزارة المصرية إلى مفوضيتها في واشنطون طالبة زيادة الإيضـاح والبيانات عن هذا الكشف العلمي الذي قد تستفيد منه مصر إذا ما اتضح نفعه

الحالة الاقتصادية في تونس

كثر الحديث عن تونس منذ أسابيع بالنظر إلى الاقتراحات الإيطالية التي ستتقدم بها الحكومة إلى الجمهورية الفرنسية كما كثر اهتمام الشرقيين بهذا القطر الشقيق. ولعل فيما نذكره عن حالة تونس من الناحية الاقتصادية ما يجعلنا نفهم بعض الشيء الدافع لإيطاليا إلى الاتجاه لهذه المنطقة الخصبة

مساحة الأراضي المزروعة قمحاً	١٫١٠٠٫٠٠٠	فدان
» » المغروسة عنباً	٣١٫١٠٠	فدان
محصول القمح في السنة	٣٫٠٠٠٫٠٠٠	قنطار
» الشعير » »	٣٫٠٠٠٫٠٠٠	»
» الشوفان في السنة	٥٠٠٫٠٠٠	»
» النبيذ المتحصل من الكرم	٧٠٫٠٠٠٫٠٠٠	لتراً
عدد أشجار الزيتون	١٦٫٠٠٠٫٠٠٠	شجرة
ينتج منها زيت قدره	٥٠٠٫٠٠٠	لتر
وفيها يبلغ طول الطرقات المعبدة	٦٠٠٠	كيلومتر
وطول السكك الحديدية	٣٠٠٠	كيلومتر
وعدد موانيها يبلغ	٢١	مرفأ
منها من الدرجة الأولى	٤	مرافئ
تبلغ حركة التجارة في أولها وهي صفاقس	٣٫٠٠٠٫٠٠٠	طن
وفي الثانية وهي تونس	١٫٠٠٠٫٠٠٠	طن
وفي الثالثة وهي بنزرت	٤٥٠٫٠٠٠	طن
وفي الرابعة وهي سوس	٤٢٠٫٠٠٠	طن

وقاية آثار المتحف المصري من الغارات الجوية

المعروف أن المتحف المصري يشمل أغنى مجموعة أثرية مصرية في العالم أجمع ، ولذلك كان من ضمن الأعمال الهامة التي درستها الحكومة المصرية النظر في أمر وقاية الآثار في المتحف المصري عند حصول غارات جوية

وقد ذهب الخبير البريطاني في مصلحة الوقاية من الغارات الجوية إلى مصلحة الآثار لمعاينة الأماكن والمخازن ذات القبو التي يمكن اعتبارها صالحة لهذا الغرض واطلع الخبير على رسوم خاصة بإنشاء مبان أخرى

ويهمنا من نشر هذا الخبر أن نوجه عناية الحكومة إلى التفكير أيضاً في وقاية الآثار العربية لأنها إذا لم تكن قديمة قدم الآثار المصرية فإنها لا تقل عنها شأناً

مستقبل الثقافة في مصر

أخرج صديقنا الدكتور طه حسين بك كتاباً قيماً في جزءين عالج فيه مستقبل الثقافة في مصر بمعاهدها المختلفة. وقد أرسل إلينا الدكتور زكي مبارك بحثاً ضافياً عنه سننشره في العدد القادم

بين القديم والجديد

أرسل إلينا الأستاذ محمد أحمد الغمراوي مقاله الثاني في الرد على (قارئ) في مسألة الأدب بين القديم والجديد فاضطررنا لضيق الوقت أن نؤجله إلى العدد المقبل

جمعية علمية فرنسية تعمل على نشر الأدب العربي

علمنا أن الجمعية العلمية الفرنسية التي وجهت عنايتها منذ إنشائها إلى نشر الآداب القديمة والحديثة ، قد اتجه تفكيرها إلى إحياء ما ترك العرب من تراث أدبي ، مع توجيه نصيب من الجهود إلى الأدب العربي الحديث لإعطائه حقه من العناية والدراسة

ومما وقفنا عليه في هذا الصدد أن فريقاً من علماء تلك الجمعية اعتزموا زيارة مصر في الأيام القريبة المقبلة للاتصال بكبار رجال الأدب فيها ، تمهيداً لترجمة بعض المؤلفات الأدبية القديمة والحديثة ونشرها في فرنسا

ومما يجدر بالذكر أن هذه الجمعية العلمية قد نشأت بعد الحرب الكبرى ، وبدأت جهودها التي لا دخل للهيئات الرسمية فيها ، بنشر الآداب اللاتينية بعد ترجمتها ترجمة جديدة ، فأحدثت بذلك ثورة فكرية في البيئات الأدبية والعلمية ، لم تتأثر بها فرنسا وحدها وإنما تعدت حدودها إلى الممالك الأخرى

مشروع جامعة السودان

من أنباء الخرطوم أنه منذ صدور التقرير الضافي الذي وضعه اللورد دي لاوار عن التعليم في السودان ، ومصلحة المعارف السودانية تبذل جهدها لتحقيق أمل السودانيين في إنشاء جامعة للسودان على نحو الجامعة المصرية

وقد كتبت بعض الصحف تشك في إمكان قيام مثل هذه الجامعة لعظم ما تحتاج إليه من تكاليف لا تتحملها الميزانية السودانية . ولكن المتصلين برجال المعارف في القطر الشقيق يقولون إنهم جادون كل الجد ، في العمل على تنفيذ مشروع الجامعة السودانية

ويظهر أن الجامعة الجديدة سوف لا تستند في مواردها إلى المالية السودانية فقط ، لأنها في الحقيقة ليست تنفيذاً للأمل السوداني المتواضع ، بل تنفيذاً لسياسة عليا ، يرجى من ورائها أن ينشأ هناك مركز علمي كبير يحمل الثقافة إلى الجزء الأفريقي من مستعمرات التاج البريطاني ، وقد أشير إلى هذا الغرض صراحة عند إرسال بعثة دي لاوار

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين }